على خطى ابن سينا

على خطى ابن سينا

الطبيب الشاعر

د. منير لطفي

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾

خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾

الإهداء

إلى مَن يسرقون قصائدَهم من نفوسٍ تهرّأت بفعل الألم وتصدّعت تحت وطأة المرض..

اسرِقوا أيّها الأطباء الشعراء الأعزّاء وروح القدُس معكم.

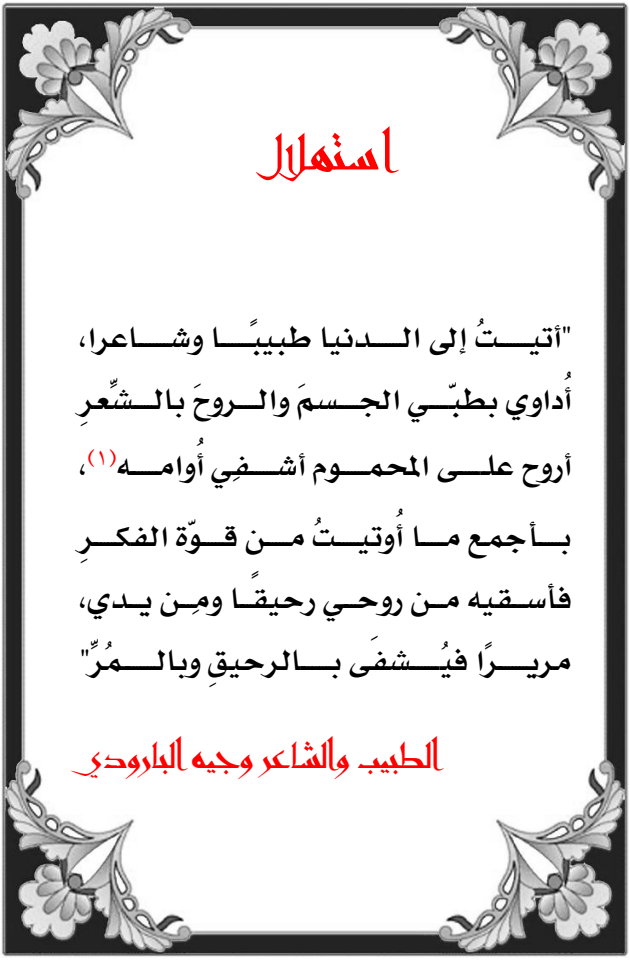

استهلال

"أتيــــتُ إلى الــــدنيا طبيبًــــا وشــــاعرا،
أُداوي بطبّــي الجــسمَ والــروحَ بالــشِّعرِ
أروح علــى المحمــوم أشــفِي أُوامــه[1]،
بــأجمع مــا أُوتيــتُ مــن قــوّة الفكــرِ
فأسـقيه مـن روحـي رحيقًـا ومِـن يـدي،
مريــرًا فيُــشفَى بــالرحيقِ وبالــمُرِّ"

الطبيب والشاعر وجيه البارودي

---

(١) الأُوام: حرارة العطش

بقلم: الطبيب والشاعر

د. وليد الصرّاف

العراق

ابن سينا الرئيس، سار بالطب شوطا لم يسرْه الذين من قبله، ولكن الموت أوقفه حيث وصلت علوم عصره أو حيث وصل بعلوم عصره. قال مرّة: اللهمّ إنني أسألك حياة عريضة ولا أسألك حياة طويلة. وكان يعني حياته الدنيا. وقد عاش حياته الدنيا عريضة فعلا، ولكنه بعد موته عاش حياة طويلة.

وها هو الدكتور منير لطفي الذي يسير على خطاه، ينطلق من حيث وقف ابن سينا، ويتوغل في المناطق الجديدة التي أتاحتها علوم عصره، راصدا الأطباء الشعراء، يمسك بيد سماعة طبيب الباطنية الذي هو تخصصه، وباليد الأخرى يمسِك ما لا يُمسَك ويستعصي على الاحتواء، إنه يخرج من سور لغة الطب العالمية المقنَّنة التي تنتظم العالم كله، ليحلّق في فضاءات أخرى، وينضم الى سرب زملائه المحلّقين خارج

السرب، وقد ألّف العديد من الكتب التي أودع فيها رؤيته ونقل ما يراه من الزاوية الخاصة التي وقف بها.

نشرْت مرّة أن جميع المهن تقف علىٰ مشارف الانسان، إلا الطب، فهو يقتحم حدود الانسان، ولكن من النادر أن يعي الأطباء ذلك، والدكتور منير لطفي وعىٰ ذلك، وكتب بوحي من هذا الوعي هذا الكتاب الذي فتح فيه قناة بين الطب والشعر، وتتبَّع قصائد الشعراء وأقوالهم، واختار لهم ما وقع في نفسه من أشعارهم، فهو يعي جيدا أن الانسان تراب، ويعرف القوانين والآليات التي تدور داخل هذا التراب ليصبح جسدا حيّا، ويعرف أيضا أن هذه الآليات زائلة زوال التراب الذي تعمل فيه، ولكنه يعرف أيضا أن التراب الزائل ينطوي علىٰ ما لا يفنىٰ، لذا كتب -وهو الخبير بالإنسان- هذا الكتاب؛ مسلّطا الضوء علىٰ ما لايفنىٰ، ومضيئا تجارب سيأتي الزمن -إن لم يكن أتىٰ علىٰ بعضهم-علىٰ أصحابها وعلىٰ أسمائهم الثلاثية وعلىٰ قبورهم.

وهذا الكتاب حلقة أخرىٰ تضاف الىٰ السلسلة المضيئة التي صاغها للمكتبة العربية، وخُطىٰ يتبع فيها ما لاح لابن سينا، وينطلق من آثار أقدامه التي انتصرت علىٰ الريح والمطر. فهو أحد الأفذاذ الذين عبّروا عن ضمير الطب في زمننا.

كُتبت في ٢-٤-٢٠٢٣

الموصل- العراق

المقدّمة

أُوقـن أن الـشّعور كـائن لطيـفٌ شـفيفٌ وهبـه الله بنـي الإنـسان كافـة، ولكـن بقـدَر.. مـنهم مَـن نـال قـسطا وافـرا فـراح يقتـنص فكـرة، لِيُلبـسها ثوبا من نور، ويُنبت لها جناحيْن أبهىٰ مـن أجنحـة الفراشـات وأزهـىٰ مـن ريـش الطواسـين، ثـم يُطلقهـا حـرّة تدغدغ النفوس وتراقصها بكـلّ حـبّ وحنين، وهؤلاء هم ريـاحين البـشَر مـن الـشّعراء المطبـوعين. ومـنهم مَـن كان دون ذلك، فاكتفىٰ بحفظ الشّعر وتذوُّقه. ومنهم مَن مرّ به فـذاق حينا ومجّ حينا وهذا أضعف الإيمان.. بمعنىٰ أنّ كـلّ ذي شـعور شـاعر ولكـن بدرجات كطبقات السماء يعلو بعضها بعضا، وقديما قال صاحب حـديث عيسىٰ بن هشام (محمـد المـويلحي): "إنّ في نفْـس كـلّ إنـسان خيـالا مـن الشّعر وإن لم يكن شاعرا، وقبسا من الفلسفة وإن لم يكن فيلسوفا". بينما

زادت العرب في الكيْل وجعلت تذوّق الشِّعر شرطا عروبيا، فقالت: "مَن لم يعشق الخيل ويتذوّق الشعر ففي عروبته نظر".

والواقع أنّ حاجة الإنسان إلىٰ الشّعر ظلّت علىٰ مدىٰ العصور ضربة لازب، إذ ليس بالخبز وحده يعيش الإنسان. فالمرء قد يقتنص المعنىٰ ضمن نص نثري أو يستلّه من أحضان حكمة موجزة أو يلتقطه من دثار مثَل شعبيّ دارج، ولكنه حين يستقي المعنىٰ ذاته من بيتٍ في قصيدة، فإن النفس له تطرَب وبه تَسكِر، إذ يتخلّق لهذا المعنىٰ ظلّ وصدًىٰ ولون يرسّخ حضورَه في الذاكرة و يُجريه علىٰ الذهن واللسان برشاقة ويُسْر، وذلك حين يجد الجدّ ويهيج للمشاعر موج، وهذا هو سحر الشِّعر وسرّ علوّ كعبه بين سائر الحرف.. بمعنىٰ أنّ الكلمة خارج القصيدة تكتفي ببُعد واحد وهو المعنىٰ الذي نسمّيه الدلالة، ولكنها في حرم بيت من الشِّعر تكتسب بعدا ثانيا هو الجمال والجلال والبهاء.

ومع عربدة المادّة في حياتنا اليومية، إلىٰ حدٍّ قسَت فيه المشاعر وتبلَّدَت العواطف وبدَت النفوس كأنها قُدّت من عاج أو نحاس؛ باتت الحاجة إلىٰ الشّعر ملحّة كالماء للصادي؛ إذ ليس كمثله مرقِّق للشعور وشاحذ للعاطفة ومهماز لقوّة التصوُّر، وليس كمثله آصرة تقرّب بين الروح والجسد وتربط الخيالَ بالواقع وترفع الحجُب بين عوالم مشهودة وأخرىٰ متوارية كربّات الخدور. علاوة علىٰ كوْنه أداة ناعمة للتغيير، ولو

بطريق غير مباشر، وفي زمن أبعد من الغد المنظور، وما أَشبَهه بقطرة ندىٰ تتّخذ الزمن مطيّة لتحفر في الحجَر وتُنبت الشجَر وتجود بالثّمَر.

وفي هذا كَتب طبيب العيون وشاعر الأسطورة السوري شاكر مطلَق: "الحياة فقيرة جدّا من دون الشّعر، فالإنسان يسمو عندما يتعاطىٰ مع الجمال بكلّ تجلياته، لأنه يغسل أدران أرواحنا ويرقىٰ بنا إلىٰ مثل عليا، قد يكون الزمن زمن المادة و ليس زمن الشّعر، وقد يكون الشعراء الحقيقيون في طريقهم إلىٰ الانقراض، ولكن يبقىٰ الشعر مشروعا رابحا لا خاسرا، ويظلّ قدَر الإنسان الشاعر لا ينفكّ عن كتابة عالَمه في كلّ زمان ومكان".

وقد نبتَت فكرةُ هذا الكتاب علىٰ هامش اليوم العالمي للشِّعر في الحادي والعشرين من شهر مارس عام ٢٠٢٢م، حين تكرّمَت منارة الباحثين العرب (منصة أريد) بعقد ندوة دولية تحت عنوان (الشعر العربي في رحاب التخصصات العلمية)، وخصّتني بمحور أحاضر فيه عن الشعراء الأطباء، ولأن الوقت في تلك الندوة المتفرّدة لم يتّسع لاستيعاب ما نتج عنه بحثي المطوَّل، فقد ارتأيتُ سكْبه في مؤلَّف موسَّع من بابيْن؛ الباب الأوّل يلقي الضوء علىٰ متلازمة الطبّ والشّعر، ويفسّر كيف اجتمع الشتيتان بعدما ظنّ بعضُ الناس أن لا تلاقيا! بينما يقطف الباب الثاني من قصيد الأطباء الشّعراء، فيسوق نماذج باذخة من الشعر القديم والحديث

والمعاصر، ويتجوّل بين أغراض وطنية وأخرىٰ دينية وإصلاحية ورومانسية..

ولعلّ الله يكتب به النفع، ويفتح له باب القبول، ويعيد إلىٰ الشِّعر الراقد في غرفة العناية المركّزة بعضَ عافيةٍ يستحقّها وروحٍ نشتاقها.

د. منير لطفي

كُتب في سلطنة عمان (٢٠٢٢-٢٠٢٣)

الباب الأوّل :
متلازمة الطبّ والشّعر

(١) ما الشّعر؟

ما الشِّعر؟..هذا ليس سؤالًا للعقل المَنوط به تقعيد ما لم يُقعَّد وتأطير ما لم يُؤطَّر، ولا سؤالًا للفلسفة الباحثة عن الحقيقة في زمن لانت فيه الحقائقُ حتىٰ كالماء سالت وكالثلج ذابت، ولا سؤالًا للشّرع القاضي بالحِلّ والحرمة بعدما كَمُل الدِّين ورُفعت الأقلام وقُضي الأمر الذي فيه تستفتيان..

ولكنه سؤال الحبّ والخير والبهاء، وسؤال الوعْي والثقافة والإبداع، وسؤال البكاء علىٰ طللٍ للشِّعر خُلع عنه رداءُ المجد وتاجُ العزّ، ثمّ جُرّد من السيف والحُسام، حتىٰ بات شبه مغمور لا تعرفه الخيل ولا الليل ولا البيداء، وصار غريبا ينكره الرمح والقرطاس والقلم!

وُلد الشِّعر عملاقا كعادة الكبار، وكُتب علىٰ جبينه: هذا كلام موزن مقفّىٰ ذو معنىٰ، ودلّلتْه اللغة فوضعتْه في حِجرها وأجازت له ما لا يجوز لأخيه النثر نحوًا وصرفا. .نافح عن ذلك أمراءُ الشِّعر وصعاليكه وفرسانه من لدن امرئ القيس، مرورا بطرَفة بن العبد أصغر شعراء المعلَّقات سنّا، إلىٰ عنتر العبسي أو عنترة علىٰ قول بعض الرواة. وصان العهدَ محمود

سامي البارودي بمدرسته الإحيائية، والعقّاد في مدرسة الديوان، إلىٰ أن سلبه الشّعرُ الحرّ القافيةَ علىٰ يد نازك الملائكة والسيّاب وعبد الصبور، وهو ما أغرىٰ أدونيس ودرويش لاحقا بالإتيان علىٰ ما تبقّىٰ من وزن تحت زعم الحداثة التي هبت رياحها من الغرب وتمخّضت عمّا يُسمَّىٰ قصيدة النثر!

وبعدما كان الشِّعر ديوان العرب، ولسان القبيلة، وزينة البلاط، وحادي الأسواق، بات –وا أسفاه– كالجندي المجهول، يعرف كلُّ الناس رسمَه ولكنهم يجهلون تاريخَه ومكانته، تماما كجهلهم باسمه!

وللوقوف علىٰ مكانته السامقة منذ هوميروس، وفاعليته قديما وسط الصحراء الصامتة والرمال الناعمة؛ رُوي أنّ رجلا بدويا له من البنات ثمان، لم تتزوّج واحدة منهنّ لفقره ومسْكنته، وبنصيحة من زوجته النابهة احتال في استضافة الأعشىٰ بينما يشقّ طريقه إلىٰ سوق عكاظ مارًّا بخيمتهم، ثم ذبح له ناقته الوحيدة وراح يتنمّق ويتأنّق هو وبناته في خدمته، قبل أن يخبره خبرَه. وما إن حلّ الأعشىٰ بسوق عكاظ، حتىٰ أنشد قصيدة من اثنين وأربعين بيتا يشيد فيها بكرم الرجل وحسن صنيع بناته، وهو ما كان له مفعول السحر؛ إذ ما مرّ العام إلّا وتقاطر الخاطبون ونُكحت البنات وانزاح عن صدر أبيهم همٌّ ثقيل كجبل أحد!

كما رُوي أنّ تاجر أقمشة كُوفيّ قَدِم إلىٰ المدينة يبيع الخُمُر (جمع خِمار)، وباعها جميعا إلّا ذوات اللون الأسود، فاشتكىٰ كسادَها لصديقه مسكين الدارمي، الذي تمرّس في الغناء وشعر الغزل ثمّ تنسّك، فكتب له أبياتا من الشِّعر تصف فتاةً مَليحة فَتنَت زاهدًا متعبِّدا بخمارها الأسود، وأمره أن يذيعها في الناس. ولمّا انتشرت الأبيات انتشار المسْك في الأثير والنور في الأفق البعيد، تنافسَت النّساء لشراء الخُمُر السُّود حتىٰ نفدت كلّها!

وفي بلد التقاليع والغرائب، أمريكا، ترىٰ الحانوتية يعرضون علىٰ أهل المتوفَّىٰ أبياتا من الشّعر تُكتب علىٰ القبر، وبالطبع لكلّ فقيد قصيده الذي يناسبه! وكم مِن قبور هنا وهناك لا ترىٰ لها زينة –بعد آي القرآن– سوىٰ أبيات من الشّعر ينظمها الفقيد أو ينتحلها أهلُه ملخِّصةً فلسفتَه في الحياة وأمانيه لِما بعدها من نعيم مقيم. ولو تفرّغ أحدُهم للمرور علىٰ شواهد القبور، لجمع من أديمها دواوين بليغة في حكمتها، عميقة في فكرها وفلسفتها، وربما أيضا طريفة في مناسبتها.

وليس بخافٍ، حرْص الحكّام والأمراء علىٰ طيّ الشعراء تحت إبطهم، ليدعموا بقصيدهم أركان البلاط ويَذودوا بحرفها عن حماهم كما تذود السيوف والسهام، ولكنهم في الوقت ذاته كانوا يتوجّسون منهم خيفة وينظرون بعين الريبة إلىٰ كلّ شِعر يُظهر فسادهم ويضعضع سلطانهم، فلا

يتردّدون ساعتها في إشهار سيف المصادرة والمحاكمة والسجن وما فوقه..

ولْنذكر في هذا الصدد، ديوان (وطنيتي) الذي حمل فيه الشاعر علي الغاياتي علىٰ الاحتلال الإنجليزي ومجّد زعماء الحركة الوطنية آنئذ، فكان نصيبه مصادرةً ومحاكمةً طالت –ويا لَلعجَب– مَن قدّما للديوان أيضا وهما الزعيم محمد فريد والشيخ عبد العزيز شاويش! أمّا الغاياتي فقد اشْتمّ رائحة السجن ونفذ بجلده إلىٰ استانبول ومنها إلىٰ جنيف التي تزوّج فيها وأنجب ومارس حقّه في التعبير الحرّ قبل أن يعود إلىٰ مصر ثانية بعد سبعة وعشرين عاما (١٩١٠-١٩٣٧)!

والحقّ أن الشِّعر ليس غوايات امريء القيس، ولا غزَل ابن أبي ربيعة الفجّ، ولا خمريات أبي نواس، ولا زندقة ابن بُرد ، ولا سلاطة لسان الحطيْئة، ولا هجاء جرير والفرزدق، ولا مدائح المتنبّي والجواهري وشوقي، ولا طلاسم أدونيس وأساطير درويش ونهديّات نزار! ولكنه معلّم كبير ومربٍّ عظيم..

معلِّم يعلّمنا الجزالة في أبيات أبي تمام، والزهد في قصيد أبي العتاهية، والنبوغ في نظْم النابغة، والإيمان في شعر إقبال. ومُربٍّ يربّينا علىٰ الوفاء في قريض الخنساء، والرّقة في نظْم البحتري، والفلسفة في أبيات المعرّي، والأصالة في شعر أحمد محرم.. وهلّم شِعرًا يجرّ في عقبه تعليمًا يُثمر وتربيةً تُزهر.

ولكي يكتسب الشّعر صفة المعلّم والمربّي هذه، لا بدّ له من معنىً عميق وعاطفةٍ ملتهبة وخيالٍ باهر ولغةٍ آسرة موزونة..وتلك أربعةٌ كاملة كقوائم الطاولة وأطراف البدن الأربع، إن نقصت واحدة صار الشّعر أكتع أو أعرج أو أشلّ، وحاشا لعروس الشّعر الجميلة أن ترضىٰ بالدمامة والعجز والعِلّة.

كما لا بدّ لصاحبه أن يكون موهوبا يكتبه الشّعر قبل أن يكتب الشّعر، ماهرًا باللغة كمصوِّر محترف، متقِنا للعَروض كناسجٍ خبير، مثقَّفا ذا اطلاع عميق كبحر وتجارب عريضة كمحيط، وصاحب رسالة تقيه خطر الانزلاق إلىٰ هاوية العقم والهذيان..وتلك خمسة كاملة (الموهبة-اللغة-العروض- الثقافة- الرسالة) هي للشاعر أعزّ عليه من أصابع يده الخمْس، وواجبة في حقّه وجوب صلواته الخمْس.

وعلىٰ قول القائل بأن الأسود ليست سوىٰ بضع خراف مهضومة، فإنّ الشاعر ليس سوىٰ شذرات ممّن سبقوه وفسيفساء لشعراء علّموه، ولا يعترف بالفضل إلّا أهل الفضل. ويبقىٰ الشعراء -كما قِيل- أربعة: شاعر يَجري ولا يُجرىٰ معه، وشاعر ينشد وسط المعْمعة، وشاعر من حقّه أن تسمعه، وشاعر من حقّه أن تصفعه. أو-كما قال ابن رشيق في العمدة- شاعر خنذيذ يتسنّم القمّة، وشاعر مُفْلق، وشاعر وكفىٰ، أو شعرور وهو اللاشيء.

وكما أنّ القرآن أفضل مفسِّر للقرآن، والمفسّرين أوْلىٰ الناس به، فإن الشِّعرَ أفضل مَن يُعرِّف الشِّعر، والشّعراء أوّل مَن يملكون حقّ تعريفه؛ فهو علىٰ لسان أمين نخلة: طربٌ يهزّك كالغناء الصاخب، وعلىٰ قول أبي القاسم الشابي: فمُ الشعور وصرخة الروح، وعلىٰ حدّ تعبير معروف الرصافي: فنّ يتلو الشعورَ بألسن الموسيقىٰ، وعلىٰ قول شوقي: ذكرىٰ وعاطفة، وعلىٰ حدّ تعبير صلاح عبد الصبور: حالة وليس حلْية ولا أسلوبا..

بينما عرّفه الشاعر محمد الفراتي قائلا:

"وما الشّعر إلّا شعور المرءِ يُرسله
عفْو البديهة عن صدقٍ وإيمان"

وزاده جميل صدقي الزهاوي تعريفا، فقال:

"الشّعر ما عاش دهرًا بعد قائله
وسار يجري علىٰ الأفواه كالمَثَل
والشِّعر ما اهتزّ منه روحُ سامعه
كمَن تكهْرب مِن سِلْكٍ علىٰ غفل"

ولأنّ النثر للشِّعر كالبنيان يشدّ بعضه بعضا، وهو منه كالقول لقائله والولد لناجله، فلنا أن نعرّف الشِّعر نثْرا بأنه: صلاة في محراب اللغة، وأحلام الكبار بعدما غادرتْهم أحلام الطفولة، وحبْل الغرباء يصلهم

بالبعيدين عن عينه القريبين من قلبه، وبسمة الربيع في وجه الشتاء، والحنّاء في كفّ العروس، ودمعة البؤس في عين اليتيم، وشارة النصر على كتف الشهيد. وهو أيضا مهاد الطفل ووسادة العاشق، ونعومة الحرير وبريق الذهب ولمعان النجوم والنّبوءة الصغرى..

وما أجمل تعريف نقولا فياض له بقوله: "الشعر هو صوت الإنسانية منحصِرٌ في أفواه البعض ممّن فاقوا الإنسان.. خُذ أَخفى ما يكنّه القلب وأَسمى ما يحمله الفكر، وأَلْبِسه حلّة من اللفظ الرقيق والقول الرشيق، يكُن لك الشِّعر. وجَسِّد أبهى صور الوجود التي تملأ العين، وأجمل أصوات الطبيعة التي تسحر الأسماع، وألذّ أنفاس الكون التي تُسكر الألباب، يتمثّل لك الشعر!"

ويظلّ الكلام في وصف الشعر يطول، والإحاطة بتعريفه قيْد أقلام الفحول، ولا مانع من اعتماد ما قاله الشاعر الكويتي عبد الله الفلاح: "وحده الشّعر حالة استثنائية عصيّة على التعريف أو التفسير، ومَن يحاول ملامسة أو الوصول إلى تعريف للشعر، فهو أشبه بالذي يصل ولا يصل، وأنا لو عرفْت الشّعر لتركتُه!"

والواقع أن هذه التعريفات الكثيرة للشِّعر تتكامل ولا تتنافر؛ إذ يكشف كلٌّ منها عن وجه مغايِر للشِّعر، وأوّل هذه الوجوه إسفارا هو التفريق بينه وبين النثر الواقف قبالته على الشاطئ الآخر لمحيط اللّغة المائج.

ولأنه طاقة عظمىٰ وصنعة كبرىٰ، فلا بدّ من حافز قويّ للإقدام علىٰ نظمه ومدد كبير لاقتحام لجّته، وتبقىٰ هذه الدوافع صنيعة ميل فطري في الإنسان إلىٰ التشبيه والمحاكاة، وابنة طربه للإيقاع والألحان، وحول هذيْن العامليْن يطوف الشِّعر كحاجّ، وبينهما يسعىٰ كمعتمِر وزائر. أمّا طقوس نظمه فتتعدّد بتعدّد الشعراء وتتفاوت تفاوت القصيد، ويكفينا مثلا أن نمرّ علىٰ الأمير أحمد شوقي لنجده –كما ذكر سكرتيره الخاص أحمد عبد الوهاب أبو العزّ– ينظم في أي وقت شاء وفي أي مكان أراد؛ ينظمه جالسا وماشيا، ومسافرا ومقيما، وينظمه وهو وحده أو بين أصدقائه وزوّاره، وينظمه فرِحا وحزينا، وجادًّا أو لاهيا! بمعنىٰ أن قلمه بالمرصاد متهيّء دوما لاقتناص كلّ شاردة وصيْد كل سانحة، فالأفكار كالأيام إن ذهبَت لا تعود، والخواطر كالأرزاق مَن ولّاها ظهره ولّته قفاها، وهل الشّعر إلّا فكرة في سماء العقل تلوح، وخاطرة للنفس تبوح؟!

وكما يحتاج النبات إلىٰ أرض خصبة وشمس وماء ليَنبت ويترعرع، فإن للشعر علاقة بعناصر البيئة المحيطة، بعضها يجلبه كالمغناطيس فيدنيه، وبعضها يطرده ويقصيه، ولذا نجود علىٰ بعض الأماكن بقولنا: هذا مكان شاعري. وفي ذلك سُئل الشاعر المهجري الكبير إيليا

أبو ماضي: لماذا يَكثر الشعراءُ في لبنان؟ فأجاب: بل قل: لماذا لا يكثر الشعراء في لبنان؟ مُحيلا إلىٰ الجمال الذي يغزو كلَّ شبر فيها، وملمِّحا إلىٰ أنّ الجمال من أقوىٰ دعاة الشِّعر ورُسله الكرام.

(٢) ما الطبّ؟

تَفقَّد أحدُ الخلفاء العباسيّين الجُدد حاشيتَه، وبعد أن قدَّموا له طبيبَه الخاص، تَعجَّب قائلا: لستُ بمريض حتىٰ تُخصِّصوا لي طبيبا، فصوَّب الطبيبُ منطقه قائلا: "الطبُّ حِفْظ الصحّة ومُداواة العِلّة"..ولعلّه بذلك يشير إلىٰ ما نظمه ابن سينا شعرًا بقوله:

"الطبّ حفظ صحّةٍ بُرْء مرض
مِن سببٍ في بدنٍ إذا عَرَض"

بمعنىٰ أن الطبّ لازم للصحيح كما العليل؛ ففي الأوّل يرشده إلىٰ ما يحفظ عليه عافيته ويقيه غائلة الأمراض، وفي الثاني يمدّ له يد العون في تخطّي محنة الداء والوصول إلىٰ برّ الشفاء. وهذا ما أقرّه معجم لاروس الفرنسي الشهير حين عرّف الطبّ بأنه "مجموعة المعارف العلمية والوسائل المستعملة للوقاية والعلاج والتسكين لمختلف الأمراض والإصابات والإعاقات"، وأقرّته منظمة الصحة العالمية حين عرّفَت

الصحة بأنها "حالة من اكتمال السلامة البدنية والعقلية والاجتماعية وليس مجرد غياب المرض وانعدام العجز".

وفي منحًى آخَر يؤكّد على النظرة الشاملة للطبّ، ووجوب مراعاة العلاقة الوثيقة بين الحالة النفسية والأمراض العضوية، فيما يُعرَف بالأمراض النفسجسميّة؛ رُوي أن ابن سينا أو أمير الأطباء كما يلقّبه الغرب، دُعي لعلاج شاب احتار أطباءُ عصره في مرضه، وعندما لاحظ ابن سينا اختلالا في ضربات قلبه، خمّن بفطنته وشاعريّته أن هذا الخلل عارض نفسي مرتبط بعاطفة ما تسيطر على الشاب، فطلب من رجل خبير بأسماء البلاد المجاورة وشوارعها سرد تلك الأسماء على مسمع مريضه، بينما راح يجسّ النبض عن كثَب. ولما رأى خفقان القلب عند اسم شارع بعينه في بلدة بعينها، أفاد بأن علّة المريض ليست في قلبه، ولكن في عشق جارف شقّ طريقه إلى القلب عبر الجهاز العصبي المتوتّر عاطفيا، ونصح بتزويج الشاب من فتاته التماسًا لبُرئه وإبلالًا من وعكته. ولهذا دخل العلاج النفسي وبقوّة على خط الطب، بعدما اقتصر ردحا من الزمن على تقنين الغذاء منفردا أو مضافا إليه العقاقير أو الجراحة.

وإذا ذُكر الطبّ، ذُكر أمحتب كرمز للطب الفرعوني، وأبقراط وجالينوس كمنارات في الطب اليوناني، والرازي وابن سينا وابن زهر وابن رشد وابن الهيثم كأساطين في الطب الإسلامي، وعنهم قيل: كان الطب معدوما فأوجده أبقراط، وميتا فأحياه جالينوس، ومتفرّقا فجمعه الرازي،

وناقصا فأتمّه ابن سينا.. وهذا من باب الاعتراف بالفضل لأهل الفضل، لا سيّما الآباء المؤسّسون الذين ابتدعوا ما لم يكن موجودا وأنشأوا علىٰ غير مثال سابق، تماما كحالنا في إثبات وتثمين ريادة الخليلي في علم العَروض والشاطبي في علم المقاصد والشافعي في أصول الفقه وابن خلدون في الاجتماع، وغيرهم..

ولذلك، قال أديب الألمان (جوته): "العِلم هو تاريخ العلم"، وبالقياس نقول: الطبّ هو تاريخ الطب، ونجد الأمير أحمد شوقي، وهو القريب من البلاط والقصور والخبير بمواضع الحلّ والعقْد، حين لمس غلبة المادّة علىٰ سوق الطبّ، راح يرفع شكواه إلىٰ أعلىٰ سلطة فيه، متمثّلة في الأب المؤسّس أبقراط والرئيس ابن سينا، فقال:

قُل لابن سينا لا طبيبَ اليومَ إلّا الدرهمُ،
هو قبل بقراطٍ وقبلك للجراحة مرهمُ.

كما نجد معروف الرصافي ينصف صاحب الحاوي[1] وجالينوس العرب (الرازي) فيُعلي في العالَمين شأنه، رغم أنه اشتغل في صغره بالأدب والشعر قبل أن يطلب الطبّ متأخّرا في سنّ الثلاثين، فيقول:

(١) من المؤسف أن لقائي بالنسخة الورقية لسِفر(الحاوي)، تأخر لأكثر من ثلاثين عاما، والوِزر كل الوِزر يقع على مَن درّسونا في كلية الطب كل شيء عن الطب إلّا تاريخ الطب! إذ كان اللقاء في صيف عام ٢٠٢٢ أثناء زيارتي لمكتبة مسجد السلطان قابوس بالعاصمة العمانية مسقط، وهي مكتبة فخمة وأنيقة تقع في طابقين.

قعـــــدْتُ بأوســـــاط القـــــرون فجـــــاءني،
أبـــــو بكـــــر الـــــرازي فقمـــــتُ لإجـــــلال
فتًـــــى عـــــاش أعمـــــالا جـــــساما وإنّمـــــا،
تُقـــــدَّر أعمـــــال الرجـــــال بأعمـــــال
حكـــــيمٌ رياضـــــيٌّ طبيـــــبٌ مـــــنجِّمٌ،
أديـــــبٌ وفي الكيميـــــاء حـــــلّالُ إشـــــكال

والطبّ بين المهن قديمٌ قِدم الإنسان؛ لا سَحَرة اليمن وفارس واضعوه، ولا قدماء المصريين واليونانيين بانوه، ولا الهنود والصقالبة والكلدان مؤسّسوه.. بل قيل في حقّه: الطبّ صحيح، والعلم به ثابت، وطريقه الوحي، وإنّما أخذه العلماء عن الأنبياء.

وهو في النُّبل يسابق الريح ويطاول شاهق البنيان، وذلك بشهادة الإمام الشافعي القائل: "لا أعلم علما بعد علم الحال والحرام أنبل من الطب". وهذا النُّبل هو لبّ رسالته السامية، وحجر الأساس للمكانة الرفيعة التي تبوّأها الأطباء، حتىٰ أن الطبيب بُخْتَيَشُوع[1] بن جبرائيل كان يضاهي الخليفة العباسي المتوكّل في ملبسه وطِيبه ومسكنه وضيافته! وهو أيضا سرّ تسميتهم الشائعة بملائكة الرحمة، وسبب تقعيد دستور للأخلاقيات الطبية يحكم علاقة الطبيب بزملائه وعلاقته بمرضاه ثم علاقته

(١) بُخْتَيَشوع: بمعنى عبد يشوع، ويشوع هو المسيح عليه السلام

بالمجتمع، وهو دستور أكثر بنوده غير مكتوبة، وسقفه الأخلاقي لا حدّ له، وهذا ما يكسبه صفة الفرادة بين دساتير أخرىٰ لا تساوي الحبر الذي كُتبت به.

ولذا، عندما سمع الطبيب والأديب والسياسي عبد السلام العجيلي أحدَ السياسيين يتيه بمهنته كسياسي ويرفعها إلىٰ مستوىٰ الوله والتقديس، عقّب قائلا: أتراني أتنازل عن مهنتي لقاء أية مهنة أخرىٰ في الوجود؟ إن أجمل عمل في الدنيا بلا شكّ أو منازع هو الطب.

ولا أدَلّ علىٰ المكانة الرفيعة للطبّ، من أن الطبيب ثابت بن قرّة الحرّاني كان يمشي مع الخليفة العباسي المعتضد في بستان دار الخلافة، وبينما يتكئ المعتضد بيده علىٰ يد ثابت وهما يتماشيان، إذ به ينزع يده بشدة نزعة فزع منها ثابت، إذ كان المعتضد مهيبا جدا، فقال المعتضد: يا أبا الحسن-وكان يكنّيه في الخلوات وفي الملأ يسمّيه- سهوْت ووضعْتُ يدي علىٰ يدك واستندتُ عليها، وليس هكذا يجب أن يكون، فإنّ العلماء يَعلون ولا يُعلون.

وبينما كان الطبّ القديم يعوّل علىٰ المشاهدة، ويرتكز علىٰ الخبرة، ويأنف من التخصّص، ويُولي الغذاء والعلاج الطبيعي الصدارة؛ فإن الطبّ الحديث صار يرتكز علىٰ العلم التجريبي، ويؤمن إيمانا راسخا بالتخصص بل وتخصُّص التخصّص، وها هو يخطو خطوات واسعة في

التداوي بالعقاقير والعمليات الجراحية، حتىٰ باتت كلّ إشراقة تحمل علىٰ جناحيها دواءً جديدا وتقنية جراحية حديثة، ولا لوم.. فتلك طبيعة العِلم التي تتسم بالفضول والسعي إلىٰ اكتشاف المجهول، ولن يشادّ العلمَ أحدٌ إلّا غلبه.

وعن الآلية المزدوجة التي تُدير عجلة الطبّ، وكأنها ساقاه وقدماه، كتب ابن سينا في أرجوزته:

وعمَـــــل الطـــــبّ علـــــىٰ ضـــــربيْن،
فواحـــــــدٌ يُعمَـــــــل باليـــــــديْن[1]
وغيـــــــرُه يُعمَـــــــل بالـــــــدواء،
ومـــــا يُقـــــدَّر مـــــن الغـــــذاء

وهذه الآليّة العلاجية المزدوجة يسبقها تشخيص يرتكز فيه الطبيب علىٰ أعراض يشكو منها المريض وبها يبوح، ثمّ علامات يكتشفها ويستنتجها بنفسه عبر حواس خمس بيّنها ابنُ سينا وضرب لنا مثلا ولم يَنْسَ خلْقه، فقال:

فمنـــــه مـــــا يدركـــــه حـــــسّ البـــــصر،
كيرقـــــانٍ وانتفـــــاخٍ قـــــد ظهـــــر
ومنـــــه مـــــا تدركـــــه بـــــالأذن،

(١) يقصد الجراحة

كخَضْخَضات[1] البطن عند الحَبَن[2]
ومنه ما يُشمّ حتىٰ ينتن،
مثل القروح يعتريها عفن
ومنه ما تدركه من طعمه،
كمَن يصيب حمْضة في فمه
وقِس علىٰ هذا النحو من مثال،
أعراض ما يحدث للأفعال

وكما أنّ الطب علم يحتاج إلىٰ دراسة، فإنه فنّ يحتاج إلىٰ ممارسة، ويقتضيه التعامل الأمثل مع إنسان يمرّ بظرف استثنائي، ويحتّمه اختلاف العلاج من مريض لمريض حتىٰ لو تشابها في المرض. ويتجلّىٰ هذا الفنّ في أبهىٰ صوره لدىٰ الطب النفسي وجراحة التجميل علىٰ وجه الخصوص.. وهذا ما ألمح إليه الطبيبُ الفرنسي تروسو حين ربط بين العلم والفن بحبل سُرّيّ، فقال: أسوأ رجل عِلم هو الذي لم يكن فنانا أبدا، وأسوأ فنّان هو الذي لم يكن أبدا رجل علم.

(١) خضْخض الشيء أي حرّكه ورجرجه

(٢) الحَبَن: داء الاستسقاء

(٣) طبٌّ وشعرٌ..
كيف يتّفقان؟

يبدو أن سؤال الارتباط بين الشّعر والطبّ قد طارد الكثيرين من الأطباء الشعراء؛ على قاعدة أنّ الطبّ عِلم جامد ينبثق من التجربة والدليل، بينما الشّعر أدب رقيق يتكئ على الخيال والمجاز. وبحسبانهما يسكنان فصّيْن مختلفيْن من المخ، الطبّ في النصف الأيسر المُسمّى بالنصف العالِم أو المنطقي، والشّعر في النصف الأيمن المختصّ بالخيال والإبداع. وعلى اعتبار أن الطب يجنح إلى العقلانية وهدوء المشاعر، بينما الشعر وجدان ثائر كالبركان وخيال أقرب إلى الجنون والهذيان. إضافة إلى أنهما يسلكان طريقا غير الطريق ويستعينان بأدوات غير الأدوات. بل ذهب أحدهم إلى أبعد من ذلك، فنفى أية علاقة وظيفية أو نفسية بين الطب والشعر، وساوى بين حظ الطبيب من الشّعر وحظّ المهندس والحائك والتاجر.. وكلّ ما سبق فيه نظر!

فاستقراء الواقع، وبعضا من أبحاث ورسائل علمية خلُصت إلىٰ أن ما بينهما ليس برزخا ولا حِجرا محجورا، بل مسافة قريبة كالمسافة بين الوردة وعطرها، وعلاقة لصيقة التصاق سواد العين ببياضه ، وصلة وثيقة إلىٰ درجةٍ صار الطبّ أكثر المهن الرافدة للأدب والشّعر، وكأنه لهما كنهر النيل لمصر وآبار النفط للخليج. ولنا أن نتذكّر أن الشّعر كما هو إلهام فإن جالينوس وأبقراط قد ذكرا قبل آلاف السنين أن الطب إلهام يوحَىٰ به للإنسان النابه، وربما لهذا الفهم ارتباط ما بتنصيب إله واحد للشّعر والشفاء من قبل اليونانيين القدماء وهو أبولّلو. ولنا أن نتذكّر أيضا أن حنيْن بن إسحق وهو طبيب ومترجم وشاعر من أعلام العصر العباسي الزاهر، عدّ عشر معارف لازمة لإعداد الطبيب، منها الشّعر. كما أن الجاحظ حين أراد تنبيه الشّعراء إلىٰ مغبّة عدم التمكّن المتين من أدواتهم، لم يجد أقرب شبها إلىٰ الشّعر من الطب ليضرب به المثل ويدلّل من خلاله علىٰ فكرته، فقال: وحال الشاعر كحال الطبيب، علىٰ كلّ منهما أن يكون عارفا جيّدا بأدواته، وإلّا كان وبالا علىٰ نفسه وغيره.

وكما أنّ الطبّ حسب تعريف أبقراط هو فنّ استخدام الحواس الخمس في التشخيص والعلاج، فإنّ الأدب فنّ استخدام الكلمات في التعبير عن المشاعر والأحاسيس. ومعلوم أنّ مهنة الطبّ وحدها هي الحائزة لمفتاح سحري (الماستر كي) يخوّلها الدخول إلىٰ عوالم الإنسان

الخفية وسبر أغواره بكيفية غير مسبوقة؛ فنراه بدنيًّا يقتحم الجلد إلىٰ أحشاء البطن ونخاع العظم وصمامات القلب وتلافيف الدماغ، كلٌّ حسب تخصصه، ونفسيًّا يملك صكّ الولوج إلىٰ مجاهل اللاوعي والأحلام والطموحات.. هذا في الوقت الذي تقف فيه بقية المهن عن حدود سور البدن وغلافه الذي نسمّيه الجلد، فلا تتخطّاه بحال من الأحوال.

وهنا نذكر كيف أن هذه الثنائية لا حقَت صاحب الأطلال إلىٰ درجة أنّ زملاءه الأطباء ينادونه بالشاعر حال لقياه، بينما يناديه أصدقاؤه الشعراء بالدكتور، ولعلّ هذا حفّزه لنظم تلك الأبيات التي صارت قولا فصلا ومثلا سائرا بين يدي الحديث عن علاقة الطبّ والشّعر:

الناس تسأل والهواجس جمّة، طبٌّ وشعر كيف يتّفقانِ.
الشعر مرحمة النفوس وسرّه، هبة السماء ومنحة الديّانِ.
والطبّ مرحمة الجسوم ونبعه، من ذلك الفيْض العليّ الشّانِ.
ومن الغمام ومن مَعينٍ خلفه، يجدان إلهامًا ويستقيانِ.

ولعلّ بعضنا قرأ أن العقّاد حين أهدىٰ إلىٰ جرّاح مصر الكبير وأوّل عميد لمدرسة الطب فيها، وهو علي باشا إبراهيم الملقَّب بأمير الأطباء كما شوقي أمير الشعراء، كان الشّعر محور الإهداء، إذ وضع بين يدي الباشا كتابه عن علي ابن العباس المعروف بابن الرومي، وصدّر صفحة الإهداء بأبيات من الشّعر تؤصّل للمنشأ الواحد الجامع بين الطبّ والشّعر وهو الفنّ، فخاطبه قائلا:

يـا جاعـلَ الطـبِّ فنًّـا مـن الفنـون جميـلا
ويـا أمينًـا حفيظًـا علـىٰ الحيـاة وكـيلا
هـذي حيـاةُ أديـبٍ للفـنّ كـان رسـولا
يـا رُبّ معنًـىٰ نبـيلًا كـساه لفظًـا نبـيلا
كـالروح تكـسوه جـسما غـضّ الإهـابِ صـقيلا
علـيٌّ، هـذا علـيٌّ يرجـو لـديك قبـولا

وفي المضمار ذاته، قال الطبيب والشاعر ريكان إبراهيم: إن الطبّ هاجس كما الشّعر لأنّ كلّا منهما فنّ وفكر.. والهاجس كما هو شائع ومعروف في علم النفس، هو معادلة جبرية حدّاها العاطفة (الفن) والعقل (الفكر). بينما قال الطبيب والشاعر اللبناني بلال رامز بكري: الطبّ يقيم أودي، والأدب يقوّم روحي وينقذها من الموت كمدا، أمّا الشعر فهو قرباني الذي أقدّمه علىٰ مذبح الحق والخير والجمال، والجائحة الحقيقية

عندي هي في عالم يخلو من الشِّعر ويفيض باللامعقول واللامعنىٰ!

وقريب من هذا ما ذكره أستاذ طب الأطفال الشهير مصطفىٰ الديواني في مذكّراته من تعبير بديع يصوّر مدىٰ حاجة الطب إلىٰ الأدب بقوله: عندما أكتب بحثا علميا أقتطع من شحمي ولحمي قيراطا، وعندما أسرح في عالم الأدب أضيف إلىٰ نفسي وذهني قيراطيْن.

وصحيح أنّ الشعر والطبّ كلاهما من ناحية اللغة مذكّر، إلّا أنّ الإنسانية العالية التي تجمعهما والعاطفة التي تتخلّلهما، تنقلهما إلىٰ خانة المؤنّث الحانية الرقيقة، وإن كان الطبّ في عاطفته وقورا كأمٍّ رؤوم بينما في الشّعر نجدها ملتهبة كفتاةٍ لَعوب. وقد كتبْتُ مرارا: الطبّ نصفه أدب والأدب كله طبّ.. وطبعا بالإمكان وضع كلمة الشِّعر مكان الطبّ ولن يختلّ المعنىٰ قيد أنملة.

ومن قَبيل المصادفة التي ربما توثّق علاقة الطبّ بالشّعر، وتجعل من شهر مارس شهرا للشعراء الأطباء بامتياز؛ أن مناسبة الاحتفال بيوم الطبيب العالمي تحلّ سنويا في الثامن عشر من مارس، وعقبه بثلاثة أيام لا غير، أي في الواحد والعشرين من الشهر ذاته، تحلّ مناسبة الاحتفال بيوم الشّعر العالمي!

(٤) شعراء أطبّاء
أم
أطبّاء شعراء؟

كثيرا ما تكون العناوين الملائمة منطلَقا جيّدا لمقارَبة موضوعية، وهذه العناوين ممّا يتوقف عندها النقّاد مليّا باعتبارها عتبة لما يليها من نصوص، وهنا يكمن سرّ طرح السؤال أعلاه..

وللجواب أقول: هم بالفعل شعراء أطباء؛ لأنهم ومن حيث الترتيب الزمني باتوا شعراء قبل أن يصبحوا أطباء؛ فالشِّعر ملَكة وموهبة أشبه بالوحي المنزَّل، بينما الطبّ علم يُعلَّم وفنّ يُكتسَب ومهارة تُصقل، وبهذا قد يُولد المرْءُ شاعرا ولكنه لا يُولد طبيبا، وقد يتعاطىٰ الشّعرَ صبيًّا ولكنه لا يتعاطىٰ الطبّ إلّا شابًّا فتيًّا. بعضهم كتب الشعر في المرحلة الإعدادية والثانوية، كالطبيب أحمد تيمور وصنْوه صالح الرحّال مثلا. وبعضهم طبع أُولىٰ دواوينه وهو دون المعطف الأبيض؛ كالطبيب شاكر مطلق الذي طبع باكورة أشعاره في المرحلة الثانوية عام ١٩٥٧، وهو ديوان (نبأ

جديد)، ذلك الديوان المحظوظ الذي أهداه مطلق إلىٰ عبد الناصر ابتهاجا بوحدة مصر وسورية عام ١٩٥٨ وتلقّىٰ علىٰ إهدائه ردًّا اعتز به واعتبره تذكارا ثمينا. وكذلك الطبيبان عبد الحميد محمود وأمير تاج السرّ اللذان طبعا أُولىٰ دواوينهما وهما طالبان في كلية الطب، وفي سبيل الطباعة رهن[1] تاج السرّ ساعته الثمينة من نوع رولكس ثم استردّها بعد بيع النسخ وتسديد الدَّين، بينما كان عبد الحميد محظوظا إذ طبعت له الهيئة العامة لقصور الثقافة المصرية علىٰ نفقتها وكفىٰ الله المؤمنين شرّ الرّهان.

وعن سبْق الشّعر علىٰ الطب، نظم الطبيب والشاعر السوري سلمان حاتم قائلا:

تعوّدتُ نظمَ الشِّعر منذ حداثتي،
فما لي سواه صاحبٌ وصديق.
ولا أخشىٰ أمواج البحور وأهوالها،
لأنّي في تلك البحور غريق.
تليق القوافي بي لأني أصوغها،
كدُرٍّ وليست بالجهول تليق.

(١) لعل هذا يذكّرنا بالروائي الكولومبي جارسيا ماركيز الذي رهن خاتم الزواج بمبادرة من زوجته مرسيدس في سبيل طبع روايته (مئة عام من العزلة).

وفي الوقت ذاته، وعلىٰ عادة بلغاء العرب في تقديمهم ما هم بشأنه أهمّ وبه أَعنَىٰ؛ نستطيع الجزم بأنهم أطبّاء شعراء؛ إذْ هم أغلب الوقت تحت مطرقة الطبّ وسندانه، الصباح في المستشفىٰ، وبعد الظهر في العيادة الخاصة، وفي الليل تحت الطلب لأيّة مناوبة ليلية واستدعاء طارئ، بينما يبقىٰ الشّعر رديفا قانعًا بفضول الوقت، ومنتظرًا هبوط ملَك الوحي أو شيطانه حسبما يحويه القصيد من مضامين، فما الشِّعر –علىٰ قول الأحوص الأنصاري– إلّا خطبةٌ من مؤلّفٍ..بمنطقِ حقٍّ أو منطقِ باطل، أو مرآة الشعوب علىٰ قول الشاعر الفلسطيني محمود مفلح:

"والشّعرُ مرآةُ الشعوب فإن سَمَت
فالشّعر أسمىٰ ما يُقال ويُبدَع
وإذا أضاعت في الوحول جبينَها
فالشّعر منها عند ذلك أضيع
والشّعر صوتُ الحقّ في آفاقنا
لو كان من ثدي الحقيقة يرضع
حسْب القصائد أنها لا تنحني
إلّا لجبّار السماء وتركع"

وإن شئت مثَلا للأطباء الشعراء، فلن تجد أقرب مثلا من ابن سينا، الذي وضع الفلسفة والرياضيات في صدارة أولوياته علما وتعليما، حتىٰ

غزرت فيهما مؤلفاته، ثم حجز الطب والعلوم الطبيعية للمرتبة الثانية، وجاء الشعر في المرتبة الثالثة، بعد أن استوى عودا الفلسفة والطبّ، وعُرف بهما واشتُهر..

فقد ذكر تلميذه الجوزجاني أن الشيخ الرئيس جلس يوما بين يدي الأمير علاء الدولة، وأبو منصور الجبّائي رجل اللغة والنحو حاضر. فجرى حول اللغة مسألة تكلّم فيها ابن سينا بما حضره، وعقّب أبو منصور قائلا: إنك فيلسوف وحكيم، ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضينا بكلامك فيها، فاستنكف صاحب القانون من هذا الكلام، وتوفَّر على درس كتب اللغة ثلاث سنين، حتى شهد له الجبائي بالإتقان واعتذر عن تبكيته سلفا.

ومن ساعتها بدأ يؤلف في اللغة وينظم الشّعر، فجاء شعره فلسفيا يشير إلى أفكاره وإحساساته أكثر مما يشير إلى خيالاته، ولو تفرّغ له وصدّره اهتماماته لارتقى بين طبقات الشعراء وغزر إنتاجه من القصيد، ولكنه – وعلى قول العقّاد- لم يُخلق للشّعر ولم يخطئ في النذر اليسير من وقته الذي خصّه به.

(٥) ظاهرة تستحقّ البحث

لا يعبأ التاريخ كثيرا بحالات فردية تومض وتختفي كالبرق، لأنها طفرات قد لا تتكرّر، وبالتالي لن تقيم بنيانا ولن تشيّد معمارا، ولكنه يصغي سمعه ويعير بصره لِما يتسع طولا وعرضا وعمقا فيرقىٰ إلىٰ مُسمّىٰ الظاهرة التي تتخطّىٰ سياق الفرضية والنظرية، وتصبح جديرة بالتناول عبر أقلام البحث وأوراق الدرْس.

والواقع أن الإبداع الشعري بين فئة الأطباء بات ظاهرة ولم يعُد حالة فردية. وهو في الكمّ عصيّ علىٰ العدّ والإحصاء منذ قديم الزمان؛ كابن سينا وابن زهر الأندلسي وابن دانيال الموصلي وابن طفيل، وداوود الأنطاكي والحكيم أبو الصلت الأشبيلي والحارث بن كلدة. وكذلك ابن أبي أصيبعة مؤرّخ الطبّ وصاحب كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء)، الذي ترجم لبعض الأطباء الشعراء وساق نماذج من أشعارهم، وذلك ضمن أكثر من أربعمائة ترجمة لأطبّاء إغريق ورومان ويونانيين وفُرس وعرب؛ غلب الطبُّ الشعر لدىٰ البعض فعُرف طبيبا أكثر ممّا عُرف شاعرا كابن سينا، وتفوّق الشعر علىٰ الطب لدىٰ البعض الآخر

فاشتُهر شاعرا لا طبيبا كالحكيم أبي الصلت. بينما غلبت الفلسفةُ الشعرَ والطبَّ عند بعضهم فعُرف بها واشتُهر، كأبي نصر الفارابي الملقَّب بالمعلّم الثاني بعد أرسطو المعلّم الأوّل، والذي ناجىٰ ربه بأبيات رقيقة قال فيها:

إنّـــي دعوتـــكَ مـــستجيرا مـــذنبا
فـــاغفر خطيئـــةَ مـــذنبٍ ومقـــصّرِ
هَـــذِّب بفـــيضٍ منـــك ربَّ الكـــلّ مـــن
كَـــدَرِ الطبيعـــةِ والعناصـــرِ عُنـــصري

وفي حديث الزمان؛ يطلّ علينا إبراهيم ناجي وأحمد زكي أبو شادي وعبد السلام العجيلي ووجيه البارودي وعلي الناصر وشاكر الخوري وشاكر مطلَق ونقولا فيّاض وعمر الجارم وأحمد عروة ويحيىٰ الرخاوي، والأَخَوان حتحوت. وكذلك سعيد عبده (١٩٠١-١٩٨٣) الذي كثيرا ما ناب عن أحمد شوقي في إلقاء قصائده بالمحافل والمناسبات العامة، نظرا لعيّ لسان شوقي وتعثّره في الإلقاء حتىٰ يكاد لا يبين مقارنة بغيره ممّن أجادوا الإلقاء جنبا إلىٰ جنب مع النظْم كنزار ودرويش وكصديقه حافظ أو بحتريّ زمانه الذي تميّز بصوتٍ جهوري فخم لا يتهيّب الإلقاء قط، وبجسدٍ يتمثّل القصيد فيتأرجح جذعه كشجرة تراقص النسيم، بينما تتناوب اليدان والرأس الإشارة كرجل مرور ينشد للسابلة السلامة..

ولكن، هل في هذا التناقض بين فحولة الشاعر وضحالة إلقائه ملامة أو نقيصة؟ كلّا؛ فكما لا يُشترَط لبلاغة القلم فصاحة اللسان، لا يُشترط لفحولة الشّاعر فحولة الإلقاء، فكم من قلم لا يشبه لسان صاحبه، وكأنّ الله بواسع حكمته وجميل تدبيره تَقصّد نثْر المواهب ليتعارف البشَر ويتعاضد ويتكامل. وبالطبع هناك فرق معتبَر بين إنابة الشاعر غيرَه في إلقاء نظْمه، وبين إلقائه وهو الخبير بخفيّ المعنىٰ ودقيق الشعور؛ فليست النائحة الثكلىٰ كالنائحة المستأجَرة.

أمّا المعاصرين منهم؛ فنجد –وعلىٰ سبيل المثال لا الحصر– وليد الصرّاف وريكان إبراهيم ونوري الوائلي ومحمود المشهداني وسعد صلال وعبد الودود القيسي (شاعر أمّ المعارك) في العراق، وجمال سلسع من فلسطين، والمُولدي فرّوج في تونس، وعبد الحميد محمود وعبد المقصود عبد الكريم وأحمد تيمور وأحمد درّة ومحمد عباس وإبراهيم البجلاتي ومدحت العدل ومحمود الفخراني ومحمد كمال في مصر، ووائل كرامة وبلال بكري من لبنان، وفتحي الغماري من ليبيا، وأحمد كنعان ومحمد حكمت وليد وعبد المعطي الدالاتي ومروان عرنوس في سورية، والأخويْن قيس ونزار غانم من اليمن، وعبد الجبّار ديّه في الأردن، وشريف الشهراني من السعودية، وحَجَر البنْعلي في قطر، وراشد بن عميرة الرستاقي والأَحمديْن الفارسي والدرمكي في سلطنة

عمان، وعبد الحقّ مواقي ومحمد الطاهر عيساني من الجزائر. وكما أسلفنا، أمير تاج السرّ في السودان، والذي بدأ شاعرا قبل أن يحوّل وجهته إلىٰ رواية أظلّت سماء الأدب وشغلت دنياه..والقائمة تطول.

وبينما ترجم ابنُ أبي أصيبعة للأطباء بصفة عامة، فإن الطبيب والأديب العراقي محمد الخليلي، وبعده بسبعة قرون، قد ترجم ولكن للأطباء الأدباء فقط، وذلك عبر كتابه (معجم أدباء الأطباء) الحاوي لعشرات الأطباء الشّعراء.. وهنا وقفة! فقد عجبْتُ أشدّ العجب حين أُسندَت مهمّة تقديم المعجَم إلىٰ من ينقض أساسه ويهدم فكرته ويعلن علىٰ الملأ كفره بالعلاقة بين الطبّ والأدب! ففي الوقت الذي يؤكّد فيه جعفر الخليلي عبر تقديمه علىٰ أنّ الشعر فنّ لا دخل له بعلم الطب وخصائصه وغاياته، ويمثّل للجمع بينهما بالجمع بين الصياغة والنجارة، وبين الهندسة والفلاحة! نجد المؤلّف محمد الخليلي يستفيض في سوق أدلة الترابط بين الطب والأدب والشّعر، ويجزم بأن الطبيب وإن اختلف مع الشاعر في ناحية من النواحي فهو متّفِق معه في أكثر النواحي الأخرىٰ، بل ذهب إلىٰ أنّ كليهما طبيب ولكن الشاعر طبيب أُمّة والطبيب طبيب أفراد، وكليهما أيضا شاعر ولكن الطبيب شاعر أجسام والشاعر طبيب أرواح، ثم يختم بقوله: الطبيب والشاعر مشتركان في دقّة الإحساس، والحذق والتعمّق لاستخراج الحقائق، وإعمال الفكرة من طريق الحدس والتوصّل منه إلىٰ

الواقع، ولا بدع إذا كان الطبيب أديبا والمعالج شاعرا لتَوافقهما من الوجهة النظرية وتَخالفهما من ناحية العمل فقط.

ودون اتهام بالتحيّز والعنصرية؛ سيلحظ مَن يدقّق أنني حصرتُ الحديث فيما تَقدّم وما تأخّر من الشعراء، علىٰ الأطباء البشريين فقط، وعلىٰ العرب منهم لا غير؛ وذلك حتىٰ لا يتشعّب بنا الموضوع ونهيم – كما بعض الشعراء– في كلّ واد. وسيلحظ أيضا أنّ العراق وسورية ومصر تكتنز أغلب هؤلاء الشّعراء الأطباء، مع كامل الودّ لبقيّة الدول الشقيقة.

(٦) الطبيبات الشّواعر

حَسنًا أن جاءت القصيدة مؤنّثة والقافية مؤنّثة، فظنّي –وبعض الظن حقّ– أن الشّعر ألْيق بالنساء، سواء علىٰ مستوىٰ الإبداع أو مستوىٰ التلقّي، وذلك لِما يمتلكْن من رقّة الطبع وحساسية المشاعر وتدفّق العاطفة وعذوبة الإلقاء، واقرأ في ذلك ما تغزّلَت به حفصة بنت الحاج الركونية في حبيبها الوزير الغرناطي أبو جعفر أحمد بن سعيد، فقالت:

أغـــار عليـــكَ مـــن عينَـــيّ ومِنّـــي،
ومنـــكَ ومـــن زمانـــكَ والمكـــانِ
ولـــو أنّـــي خبّأتُـــكَ في عيـــوني،
إلـــىٰ يـــوم القيامـــة مـــا كفـــاني
أزورك أم تـــزور؟ فـــإنّ قلبـــي،
إلـــىٰ مـــا تـــشتهي أبـــدًا يميـــلُ
فعجِّـــل بـــالجوابِ فمـــا جميـــلٌ،
إبـــاؤك عـــن بثينـــةَ يـــا جميـــلُ

وعلىٰ هذا الظنّ، دخلَت الأقلام النسائية علىٰ خط الشّعر والطبّ كطبيبات شواعر؛ وأضرب مثلا للقدامىٰ منهنّ، بأمّ الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي، التي وُلدت وترعرعت في قرطبة زمن القرن الثامن الهجري، وتعلّمت الطب من أبيها، ومن نظْمها في الخطّ:

"الخطّ ليس له في العلم فائدة،
وإنما هو تزيين بقرطاسِ
والدرس سُؤلي لا أبغي به بدلا،
بقدْر علم الفتىٰ يسمو علىٰ الناسِ"

ومن بين المعاصرات؛ أضرب مثلا بالطبيبة الجزائرية الشابة آمنة حزمون التي برزت في أكثر من محفل دولي للشّعر، وطبيبة القلب المغربية بلقيس بابو التي علّقت عقب صدور ديوانها الأوّل بأنها لا زالت مضغة أو علقة في انتظار ميلاد الشاعرة، وطبيبة الأشعة المُكثرة في دواوينها سحر كرم، وطبيبة التخدير الحِمصية مادلين الطنّوس التي طافت بالشعر المحكي والفصيح والحرّ.. إضافة إلىٰ الطبيبة الجزائرية حنين عمر الملقَّبة بتلميذة نزار قباني، والتي تُعرّف نفسها بأنها (امرأة تكتب)؛ فلها الكثير من القصائد المُغنَّاة طارت إحداها إلىٰ هوليود، واختِيرت ضمن قائمة من أفضل ثلاثين شاعرا مبدعا معاصرا في الخمسة عقود الأخيرة حسب استطلاع لمجلة نسائية.

ولمَن أراد المزيد، فعليه بكتاب د. محمود فوزي المناوي (حكماء وشعراء)، حيث ترجم في طيّاته للكثير من الطبيبات الشواعر؛ بدءًا من خرّيجات مدرسة النبوة كالصحابية أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، إلىٰ خرّيجات الجامعة الأمريكية ببيروت كشاعرة الجامعة وشاعرة الأمومة ميّ حنّا سعادة، وهي الطبيبة اللبنانية التي اشتُهرت بقصائد دافئة حانية نظمتْها في أسرتها ومعارفها.

وبالتأكيد سنلحظ قلّة عدد الطبيبات الشواعر مقارنة بالأطباء الشعراء، حتىٰ لا نكاد نجد نسبة مئوية معتبَرة، وتلك حقيقة تاريخية قديمة، أَقرَّها الرافعي في كتابه (تاريخ آداب العرب) بقوله: "فما قطّ عُرفت شاعرةٌ أَخملَت شعراءَ دهرها، ولا كاتبةٌ غطّت علىٰ كتّاب زمانها، ولا عُرف مثل هذا في الأدب ولا في الرواية ولا في شيء من هذه الصناعة بوسائلها وأسبابها، فكانت الطبيعة نفسها حجابا مضروبا علىٰ النساء قبل الحجاب الذي ضربه الرجال عليهن..فيا رحمتا لهؤلاء الضعيفات".

وها نحن نستشفّ تلك الحقيقة من كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي؛ إذ لا نرىٰ فيه خلخالا ولا نشمّ عطرا إلّا للخنساء كامرأة وحيدة وسط غابة من الشوارب واللّحىٰ بلغ عددهم مئة وثلاثة عشر شاعرا!

كما رصدها صاحب الأغاني، حين شرع في جمع أخبار الإماء الشّواعر في العصريْن الأموي والعباسي، وذلك بتكليف من الوزير المهلّبي.. فرغم رفْع الحظر عن الإماء فيما يتعلّق بقول الشّعر وممارسة الغناء وتعاطي الفنون مقارنة بسواهنّ من الحرائر، ورغم طول الفترة الزمنية التي جرىٰ فيها التوثيق، وهي نحو قرنيْن من الزمان؛ لم يعثر الأصفهاني سوىٰ علىٰ ثلاثين منهنّ، قليلهنّ شهيرات مُجيدات، وأكثرهنّ مغمورات في الشهرة متواضعات في الشّعر، وفي ذلك فليتسابق المفسّرون من نقّاد الأدب وعلماء الاجتماع.

ربّما لأنّ تجارب المرأة في الحياة دون الرجل بمراحل، وبالتأكيد تمثّل التجارب رافدا ثرّا يغرف منه الشاعر ويسكب في كأس الشّعر. وربّما لأنّ المرأة بحيائها الجمّ لا تحبّذ فكرة التعبير الصريح والبوح المكشوف لا سيّما فيما يتعلّق بالغرائز والمشاعر، حتىٰ قيل إنّ الأنثىٰ عندما تعشق تصمت بينما الرجل حين يعشق يبوح، ومعلوم أنّ الشعر أساسا يقوم علىٰ هذا البوح وما يتفرّع عنه، وما أشبه القصيدة بطاولة في غرفة عمليات لا نعثر فوقها سوىٰ علىٰ الأحشاء..كبد، قلب، رئتيْن، بنكرياس، أعصاب، وهكذا. وربّما أيضا لأنّ فرص المرأة في تحصيل الثقافة اللازمة لخوض غمار الشّعر أقلّ من الرجل، خاصة في عصر ما قبل الإنترنت والتعليم عن بعد.

على صعيد آخَر، يُلقي البعض باللوم على النقّاد ومؤرّخي الأدب، فيزعم أنّ الشاعرات كُثُر كما الشعراء، ولكن النقّاد يهملون إنتاجا لهنّ يرونه ليّنا يفتقر إلى الفحولة، وضعيفا تعوزه القوّة، وذا نفس قصير يسبح على الشاطئ ولا يغوص في مطوّلات شعرية تعجم عود ناظمها، وذات غرض محدود لا يتعدّى الرثاء وبعض الغزل وترقيص الأطفال وتحميس الرجال.

ويحلو لهؤلاء البعض الأخير، التعريض بما أسموه مجتمعا شرقيًّا ذكوريا يعادي الإناث! مستشهدين في زعمهم بالفرزدق حين ذُكر له أنّ فلانة تقرض الشّعر، فقال: إذا صاحت الدجاجةُ صياح الديكة فاذبحوها. وعلى هذا الزعم عزفَت الشاعرة سعاد الصباح قائلة:

هل تستطيع امرأةٌ مقيمةٌ في مدن الغبار
أن تتحدّى مرّةً واحدةً سلطة شهريار
وتكتب الشّعر على دفاتر من نار؟

والحقّ أن المرأة حتى لو لم تكتب الشِّعر سيظل فضلها عليه عظيما؛ باعتبارها طاقة محفزّة لقرائح الشعراء، وتربة خصبة تَنبت على أديمها القصائدُ والأبيات، فـ "أشهر ما نسمع عنهم من فحول شعراء العرب والإفرنج الذين أتوا بمعجز القول، وبلغوا من الشهرة والمقام في قلوب

الأمم ما لم يبلغه الفاتح الأعظم، هم صنْعة ذاك البنان اللطيف للمرأة وخلْقة تلك العين الدعجاء للنساء"[1]..

وما أَشبهَها بطبيعة ثانية يغرف منها الشاعر ويكيل تارة، ويغزل منها ويلبس تارة أخرىٰ، فهي زهور الربيع وصفاء السماء وخير المطر وعطاء الأرض ووجه القمر ودفء الشمس، وما الشِّعر سوىٰ الحُبّ الساكن قلبَها والجمال البادي في عينها وقدّها وذُؤابة شعرها؟! ولولاها لَما فاه المتنبّي بتلك الصورة الشِّعرية البديعة التي يقول فيها:

كشفَت ثلاثَ ذوائبَ من شَعرها،
في ليلةٍ فأَرَت ليَاليَ أربعا.
واستقبلَت قمرَ السماء بوجهها،
فأَرتْني القمرين في وقتٍ معا.

ولا استطاع البدوي القحّ عنترة أن يمزج بين الثغر والسيف في بيت يقول فيه:

فوددْتُ تقبيلَ السيوف لأنها
لمَعَت كبارقِ ثغركِ المتبسِّم

ولا تنامىٰ إلىٰ خيال أبي الصلت قوله:

---

(١) نقولا فيّاض

عجبْـــــتُ مـــــن طرْفـــــكِ في ضـــــعفهِ،
كيـــــف يـــــصيد البطـــــلَ الأصـــــيدا.
يفعـــــل فينـــــا وهـــــو في غمـــــدهِ،
مـــــا يفعـــــل الـــــسيفُ إذا جُـــــرِّدا.

وفي هـذا، رُوي أنّ الـشاعر اللبنـاني الكبيـر ناصـيف اليـازجي، كـان إذا استغلق عليه بيت وهو ينظِم قصيدة، نادىٰ زوجته أمّ حبيب، ومـا إن تَمثـل بين يديْه حينا، حتىٰ يبتسم ويعود إلىٰ نظْمه وقد فُتح له باب الشّعر كـسماء ليلة القدر!

(٧) الناس تسأل والهواجس جَمّة!

فيما يخصّ الشّعراء الأطبّاء؛ يتساءل البعض، ولهم بعض الحقّ:

لماذا لم يستجِب هؤلاء الأطباء الموهوبون لنداء الشّعر؟

ألم يكن أجدىٰ للشّعر والشاعر أن يدرسوا الأدب فينكبُّوا عليه انكباب الشافعي علىٰ الفقه والبخاري علىٰ الحديث والقرطبي علىٰ التفسير؟

المؤكَّد أن النجاح والإبداع قريب وقريب جدا حين يدرس المرء ما يلائم قدراته ويوافق ميوله ويتفق مع شغفه؛ إذ عندها يهون ما يلاقيه من عقبات، فتصير الدراسة شهوة كشهوة النوم والطعام، ولذّة كلذّة اللعب والسياحة والاسترخاء، ومعلوم أنّ كلَّ ما وافق الهوىٰ يسيرٌ وإن صعُب وخفيفٌ وإن ثقُل، وانظر في ذلك قول فيلسوف المعرّة:

وهـــــواكِ عنـــــدي كالغنـــــاء لأنّـــــه
حـــــسَنٌ لـــــديّ ثقيلـــــه وخفيفـــــه

وقول فريد الدين العطار:

فـــــإن تقـــــرأ علـــــومَ النـــــاس أَلْفـــــا
بـــــلا عـــــشقٍ فمـــــا حـــــصّلتَ حرفـــــا

ولكن المؤكَّد أيضا أن قرار الالتحاق بكلية ما عقب الحصول على الشهادة الثانوية، يكون –في الأعمّ– قرار مكتب تنسيق القبول الذي يحكّم المجموعَ الكلّي للدرجات، وقرار الوالديْن اللذان يعوّضان في أولادهم ما فقدوه من أمنيات وطموحات، ويسخّران خبرتهم الحياتيّة العريضة لصنع مستقبل زاهر لفلْذات أكبادهم. وأغلب الظنّ أن هؤلاء الشعراء ودّوا لو فعلوا ولكن السلطة الأبويّة أبَت، ولها في ذلك أغلب الحقّ؛ إذ إنّ الطبّ يعني مكانة رفيعة وحياة مادية كريمة، بينما الشِّعر كما هو ملموس ومشاهَد في عالمنا العربي، لا يُطعم خبزا أو يسقي ماء، ولا يرفع قَدْرا أو يملأ قِدْرا! ويكفي العلم بأنّ صاحب الأطلال، وهو مَن هو في صيته الزاعق، مات مَدينا، واضطُرت زوجتُه وبناتُه الثلاث لبيع مكتبته الثمينة وسدّ جزء من هذا الدين! ومَن أراد المزيد فعليه بكتاب الفلاكة والمفلوكون للعلّامة الدِّلجي، وسيجد فيه ما يستدرّ الدمع ويدمي القلب على أدباء طحنهم الفقر وعجنتْهم وخبزتْهم الفاقة!

ولا ميدان هنا للاحتجاج بأيّام زاهرة غابرة، كان للشاعر العربي منزلةٌ تفوق هوميروس عند الإغريق وشكسبير بين الإنجليز وجوتة وسط الألمان، صحيح أن الشّعر كُرِّم لدى كلّ الثقافات، لكنه لم يلْق من

الحفاوة مثل ما لقيه من العرب الأقدمين، فكانت القبيلة تهنّيء في ثلاثة: غلامٌ يُولد وفرَس تُنتج، وشاعر ينبُغ؛ وعندها تَذبح الذبائح وتَمدّ الموائد وتُوقِد النيرانَ ابتهاجا بمولد الشّاعر، ثم تصدّره مجلسَها وتجعله لسانها وسيفها، وكأنّها تملّكه حقائب أربع وزارات في عصر ما قبل الوزارات، وهي وزارات الإعلام والثقافة والخارجية والدفاع. بل إن التفاعل مع الشّعر والتأثُّر به، بلغ حدّ إضرام الحرب علىٰ وقْع بيت يرفع هذا ويخفض ذاك، أو قصيدة تمدح هذه وتهجو تلك.

هذا إلىٰ جانب استضافة الشعراء في قصور الأمراء والخلفاء، والإغداق عليهم بالمال والضِّيع، بل وأصحاب حظوة في تعيين المشاهير منهم كحجّاب ووزراء وكتّاب ومؤدّبين. وفي ذلك رُوي أن أحد الخلفاء استدعىٰ شعراءَ مصر، فصادف مسيرهم شاعرٌ فقير بيده جرّة فارغة ذاهبا بها إلىٰ البحر ليملأها، فتبعهم إلىٰ دار الخلافة، وبعدما بالغ الخليفة في إكرام الشعراء المدعوّين والإنعام عليهم، سأل صاحب الجرّة المحمولة علىٰ كتف في ثياب رثّة، مَن أنت؟ وما حاجتك؟ فأنشده:

ولمّا رأيتُ القومَ شدّوا رحالهم
إلىٰ بحرك الطامي أتيتُ بجرّتي

فأمر الخليفة بملء جرّته ذهبا وفضّة، ولمّا حسده بعض الحاضرين ورماه بالفقر والجنون والجهل بقيمة ما بالجرّة، ولربّما أتلفه وضيّعه.

أجابه الخليفة: هو ماله يفعل به ما يشاء. وما إن خرج الرجل بجرّته حتىٰ فرّق ما بها من ذهب علىٰ الفقراء! ووقتما بلغ الخليفةَ خبرُه، استدعاه وسأله مستغربا من فعْلته، فأنشده قائلا:

يجـــــود علينـــــا الخيّـــــرون بمـــــالهم
ونحـــــن بمـــــال الخيّـــــرين نجـــــود

فأُعجِب الخليفة بشاعرية جوابه وخيريّة مسْلكه، وأمر بملأ جرّته ذهبا وفضة عشر مرّات، قائلا: الحسنة بعشر أمثالها.

ثمّ إنّ دراسة هؤلاء الشّعراء للطبّ لم تكن لتنفي الشّعر فتدفنه دفن الموتىٰ في التراب وتمحوه محو الماء للمداد، وقصيدةً يكتبها أحدُهم كل شهرين أو ثلاثة لم تكن لتشغله عن واجبه الأوّل وهو الطبّ؛ بل يمكنهم الجمع بين بريق الطبّ ولذة الشّعر علىٰ طريقة تشيخوف: "الطبّ زوجتي القانونية والكتابة عشيقتي، عندما أتعب من إحداهما أهرب إلىٰ الأخرىٰ"، بينما دراسة الشِّعر وحده ما كانت لتتيح هذا الجمْع ولا تتوفّر علىٰ هذا المزيج. وأظنّ أن هذه الحجّة الدامغة هي التي ساقتْها الأُسرة لهؤلاء الشّعراء الصغار، فصادفَت لديهم منطق العقل وهوىٰ العاطفة؛ إذ مِن الحمق أن تكتفي بصيد ظبية إن كان ثمّة مضمار لصيد ظبْية وغزالة.

وقد سُئل الطبيب والشاعر أحمد تيمور عن هذا؛ فقال إنه دخل الطبّ تلبية لرغبة والده، وانتوىٰ الاكتفاء بدراسة البكالوريوس ثم التفرُّغ للشّعر،

ولكنّه وقع في غرام الطبّ بعدما اكتشف أنّ دراسته وصفيّة تتفق مع بنْية الشّعر القائمة علىٰ الوصف، فدرسه بروح الشّاعر وكان ما كان من الجمع بين أستاذيّة الطبّ والشِّعر. وعلىٰ شاكلته الطبيب والشاعر الغنائي مدحت العدل الذي التحق بالطب نزولا علىٰ رغبة والدته، ثم واصل مشواره مع طب الأطفال لأحد عشر عاما قبل أن يتخذ قرارا صعبا باعتزال الطب والتفرّغ لميوله الأدبية والفنيّة.

بينما ذكر الطبيب والشاعر حسّان حتحوت، أنه تردّد وتحيّر بين الالتحاق بكلية الآداب وفاءً لشِعرٍ ينظمه وأدبٍ يهواه، وكلية الطب التي انتصر لها بحسبان الطبّ ينمّي داخله الرحمة حين يجعله يعالج الصديق كما العدوّ والقريب كما البعيد، وباعتباره لونا من ألوان العبادة يُثري رضا الله بالعطاء أكثر ممّا يُثرِي الجيوبَ بالمال. هذا علىٰ خلاف أخيه الأصغر ماهر حتحوت، الذي مال إلىٰ الاتجاه الأدبي تمهيدا للالتحاق بكلية الآداب قسم اللغة العربية، إيمانا منه بأن العالَم يغيّره الكُتّاب لا الأطباء؛ ولكنه غيّر بوصلته إلىٰ القسم العلمي ومن ثمّ الطب، عقب قراءته لكتاب (آثرْت الحرية) للدبلوماسي الروسي المنشقّ فيكتور كرافيتشينكو، وهو ما عزّزتْه والدتُه قائلة: إنّ الأدب تستطيع أن تحصّله علىٰ أيّ الأحوال، لكن المهنة شيء آخَر.

أمّا الطبيب والشاعر عبد المعطي الدالاتي؛ فقد سلك مسلكا فريدا، حين أَسَرَّ في نفسه دراسة الشِّعر ولم يبْدها لذويه، إلىٰ أن حاز شهادة الطبّ وخطا أولىٰ خطواته علىٰ طريق نيل شهادة الماجستير في علم المختبَرات الطبية، ثمّ شرع في دراسة الأدبيْن العربي والإنجليزي في جامعتيْن منفصلتيْن بموجب شهادة ثانية للثانوية تحصَّل عليها في قسمها الأدبي! وقد خدمتْه تلك الدراسة الأدبية الجامعية كثيرا في صقل موهبته الشعرية، وتركَت أثرا بالغ الإيجابية من ناحية ردم الثغرات المعرفية وبناء المنهجية الفكرية.

ومن الطريف أن الأديب الفلسطيني محمد فريد خورشيد (١٩٠٣-١٩٨١) المشهور بالعدناني وصاحب معجم الأخطاء اللغوية الشائعة، درس الطبّ لأربع سنوات في الجامعة الأمريكية ببيروت، ولكن أحمد شوقي بعدما سمع منه قصيدة يعارض بها عينيّة ابن زريق اليتيمة، أقسم عليه أن يترك الطب ويتجه للأدب، فكان أن وفّىٰ للأمير طلبه وعمل بنصيحته، تاركا الطب بعدما كان علىٰ بعد خطوتين فقط من ارتداء معطفه الأبيض! وأكمل دراسته الجامعية في كلية الآداب، وليصبح أديبا مرموقا ترك مؤلّفات جمّة في الشّعر والقصة واللّغة والتراجم.

وأذكر أنني حال الاختيار بين القسميْن الأدبي والعلمي في الصف الثاني من المرحلة الثانوية، كانت المفاضلة ساذجة؛ إذ استقرّ في الذهن أن

القسم الأدبي يعتمد بالأساس علىٰ الحفظ ولا يُخرّج سوىٰ المدرّسين، بينما القسم العلمي يرتكز في تحصيله علىٰ الفهم ويُخرّج المهندسين والأطباء، وبهذا رجحَت كفّة الأدبي علىٰ العلمي. أما في الصف الثالث والاختيار بين القسم العلمي فرع الرياضيات والقسم العلمي فرع العلوم، فقد كان أيسر، لأنّي قدّرتُ أن الرياضيات تحتاج حاذقا في الرسم وما أنا رجل الرسم، واعتقدتُ أن المهندسين يشرفون علىٰ البناء ويرتقون المباني الشاهقة، وهذا لا يناسب خوفي من الارتفاعات العالية، حتىٰ أنني قد أُصاب بالدوار إن طالعتُ الأرض من علٍ، وكأنه لا يوجد في الهندسة سوىٰ التخصص المدني! وبهذا رست القرعة علىٰ القسم العلمي فرع العلوم، وكان الطب الذي هيّأني له التفوق والمجموع العالي، إذ ما كان لأحدٍ أن يجرؤ علىٰ إهدار فرصة توفّرت لدخول الطب، وإلّا اعتُبر مجنونا رسميا!

وبعد انتهائي من دراسة الطبّ، حانت مني التفاتة إلىٰ أدب عشقْتُه وشريعة هِمتُ بها، ووددتُ لو نلت منهما القسط الأوفر بدراسة أكاديمية جادّة. وبينما حالت ظروف السفر والأسرة دون متطلَّبات دراسة الأدب في الجامعة، واكتفيت منه بدورات قصيرة؛ فقد تمكّنتُ من الثانية عبر تقنيات التعليم عن بعد وهي التقنية التي لا تتوفّر لدراسة الأدب، وعزائي قول المتنبّي:

"مـــا كـــلّ مـــا يتمنّـــىٰ المـــرءُ يدركـــهُ،
تجـــري الريـــاح بمـــا لا تـــشتهي الـــسُّفنُ"

(٨) ملاحظات على الهامش

لو أردْنا رسم خريطة تُبرز ملامح التجربة الشعرية في قصيد الطبيب، سنجد الشعراءَ الأطباء بين الأطباء الأدباء عامة هم الأقلّ عددا مقارنة بنظرائهم الروائيين وكتّاب القصة، وسنلحظ غلبة الطابع الرومانسي والاجتماعي والوطني والديني علىٰ أغراضهم الشعرية، مع لمحات غزلية لدىٰ وجيه البارودي، وأخرىٰ ساخرة لاذعة في شعر شاكر الخوري الذي عابثه أحدُهم وكتب إليه متفكّها:

هــــــــــــذا الــــــــــــذي بكلامــــــــــــه
ذمَّ الأكــــــــــــــــابرَ والأصــــــــــــــــاغرْ
مــــــــــــا أنــــــــــــتَ إلّا قــــــــــــادحٌ
كَــــــــذِبَ الــــــــذي ســــــــمّاك شــــــــاكرْ

ولا يخلو الأمر من رثاء صادق، خلّدَت أبياتُه صاحبَها، كالطبيب والشاعر أبو زكريّا يحيىٰ التجيبي الغرناطي (ت١٣٥٢م)، والذي تُوفّيت زوجته، فوجد عليها وجْدا شديدا حتىٰ أكمده الحزن وأُصيب بالفالج،

ولمّا ثقلت عليه وطأة المرض وأحسّ بدنوّ أجله، أوصىٰ ضمن ما أوصىٰ قائلا:

إذا مـــتُّ فـــادفنّي حـــذاء حليلتـــي،
يُخـــالط عظمـــي في الـــتراب عظامَهـــا.
ولا تـــــدفنّي في البقيـــــعِ فـــــإنّني،
أريـــد إلـــىٰ يـــومِ الحـــسابِ التزامَهـــا.
ورتِّـــب ضـــريحي كيفمـــا شـــاء الهـــوىٰ،
تكـــون أمـــامي أو أكـــون أمامهـــا.
لعـــلّ إلـــه العـــرش يجـــبر صـــدعتي،
فيُعلـــي مقـــامي عنـــده ومقامَهـــا.

وسنلحظ اليد العليا بين الأطباء الأدباء والشعراء محجوزة للأطباء المتخصِّصين دون أطباء العموم، وللتخصّصات غير الجراحية دون الجراحيّة، لا سيّما تخصّص الطبّ النفسي؛ ربّما لأنّ أصحاب هذه اليد العليا يمضون مع مرضاهم وقتا أطول وبالتالي فرصتهم في سبر أعماق النفس والاطلاع علىٰ التجارب الإنسانية أكبر وأكمل من تخصّصات جراحية تسير علىٰ نهج ما قلّ ودلّ وتفضّل الخط القصير المستقيم للوصول إلىٰ مبتغاها المتحقَّق بضربة مشرط.

وعن العلاقة الحميمة بين الطب النفسي والشعر، كتب الطبيب الشاعر عبد المقصود عبد الكريم: لا شيء أقرب إلىٰ الشعر من الطب النفسي، ولا شيء أقرب إلىٰ الطب النفسي من الشعر! الاثنان غوص في أعماق النفس البشرية لاستكشافها، والاثنان يسعيان إلىٰ شفائها، واحد عبر العلم وآخَر عبر الفنّ، وأظنّ أنّ جهد الفن في استكشاف النفس البشرية لا يقل بحال من الأحوال عن دور العلم، ويمكن أن أتقدّم خطوة إلىٰ الأمام وأزعم أن الفن يسبق العلم في هذا المجال بسنوات إذا قسنا السبق زمنيا، وبآلاف الأميال إذا قسناه فضائيا.

ولا بدّ هنا من إشارة إلىٰ أن الأطباء كتبوا كلّ صنوف الشِّعر، فكانوا أميل إلىٰ الفصحىٰ، أو الفصيح الذي يميّزه أحمد تيمور عن الفصحىٰ بخلوّه من التقعّر والألفاظ المهجورة، واقترابه من المتداوَل اللغوي. بل إنّ منهم مَن لا يكاد يكتب غير هذا النوع الفراهيدي الأصيل، كنوري الوائلي ووليد الصرّاف. وبينما نظم البجلاتي وعبد المقصود قصيدة النثر التي يشبّهها الصراف بالعراء مقارنة بالشعر الخليلي الذي يعتبره بيتا ومسكنا لائقا، نجد نصيب العاميّة قليلا لدىٰ المولدي فرّوج في بعض قصائده وأحمد تيمور في بعض مرثياته وعبد الحميد محمود في غنائياته، إضافة إلىٰ ديوان ليحيىٰ الرخاوي بعنوان (أغوار النفس)، سجّل فيه – علىٰ حدّ قوله- أعمق معالم العلاج الجمْعي المتَّبَع في مجال الطب

النفسي، بعدما صدّره باعتذار إلىٰ حبيبته اللغة الفصحىٰ، وكأنه أحسّ في الكتابة بالعامية خطأ يستحق الاعتذار، وهذا إحساس أراه جيّدا ومقدَّرا ومعتبَرا جدّا، وليته يتنامىٰ وإلىٰ درجة الإقلاع يتسامىٰ.

أمّا قصيدة الومضة التي شدّت الحزام إلىٰ أقصىٰ مداه، واتّبعت ريجيما قاسيا هبط بشهيّة اللغة إلىٰ أدناها؛ فقد اختزلَت كلمات القصيدة إلىٰ ما بين ثلاث وإحدىٰ وعشرين كلمة، واختصرت مقاطعها إلىٰ ثلاثة، مجارية بذلك عصر السرعة، وموليّة ظهرها للإلياذات والملاحم والمعلَّقات والمطوّلات. كتبها شاعر الحداثة السوري شاكر مطلق؛ ربما تأثُّرا بقصيدة الهايكو اليابانية التي صال بها وجال، وربما من باب التحدّي؛ علىٰ اعتبار أن الشاعر الفحل الفخم يستطيع توليد أكبر المعاني بأقلّ التكاليف، والتكاليف هنا ليست سوىٰ الحروف والكلمات المكوِّنة لنسيج القصيد.

ويبدو أنّ للقصيدة الرقمية التفاعلية نصيبا مفروضا، إذ –علىٰ سبيل المثال– ينشر جمال سلسع قصائدَه علىٰ صفحته في الكوكب الأزرق بهذه الصورة الإلكترونية الحديثة التي قصّ شريطَها الشاعر العراقي مشتاق عباس كصاحب أوّل قصيدة عربية علىٰ هذا النحو، وفيها يتعانق الإلقاء الشِّعري مع الصورة والحركة والموسيقىٰ، مستفيدا من تقنيات العصر الحاسوبي الحديث، وناقبًا جدار الكساد المضروب حول الشّعر المطبوع

مقارنة بغيره من المطبوعات الأدبية، حتىٰ أنّ الدواوين باتت تُطبع نسخها بالعشرات لا بالألوف كسابق عهدها أيام شوقي الذي طبع من الشوقيات في جزئها الأوّل خمس عشرة ألف نسخة! ثم إنّ بيع هذه النسخ الهزيلة اليوم، يكاد يقتصر علىٰ حفلات التوقيع والندوات ودوائر الأصدقاء! ولعلّ تلك الصيغة الرقمية الحديثة تخطو بالشِّعر خطوة نحو بسط رقعة وصوله إلىٰ المتلقّين الهائمين -كما نرىٰ- بوسائل للتواصل صارت أقرب إليهم من حبل الوريد. وعلىٰ النهج ذاته سار الطبيب والشاعر اللبناني وائل كرامة، الحائز علىٰ لقب أفضل شاعر لبناني عام ٢٠١٤م، حين نشر ديوانه (بخار المرايا) مصحوبا بقرص مدمج يتضّمن قصائد الديوان بإلقائه الصوتي رفقة خلفّية موسيقية.

ولْيسمح لي الصديقان جمال ووائل بالقول: إن وهج الشّعر الحقيقي يتربّع عرش أمسية شعرية يخيّم عليها جلال الصمت، ويجلجل فيها صوت شاعر مشبَع بنغم الخليل ولغة سيبويه العالية، ليُشيع في جنبات المكان عاطفة فوّارة لا تقلّ حرارتها عن أربعين درجة مئوية. فالمسرح أبو الفنون، والشّعر أكبر أبناء المسرح، باعتباره الأحوج إلىٰ منصة وجمهور يمنحانه حياةً فوق الحياة عبر حركة يدي الشاعر وإيماءة رأسه ونبرة صوته ونظرته الجائلة اللامعة المغرورقة أحيانا بالدموع. وكلّما

انعدمت الوسائط بين الشاعر والجمهور، وبات الشاعر هو النص والواسطة في آن واحد، عاد للشّعر سطوته ونفوذه.

وبينما نجد بعض الشعراء الأطباء يَكتب ويَطوي كمَن يكنز الذهب والفضة، أو يكتفي بالنشر علىٰ صفحته الزرقاء كمَن يناجي نفسه. نجد صنفا آخر نحت في الصخر، فنشر الديوان والاثنين ثمّ ألجمتْه صعوبات النشر الذي بات اليوم حكرا علىٰ مَن يدفع أو مَن له واسطة أو مَن ارتقت شهرته جبل الأولمب. وصنفا ثالثا يغرف من بحر كالأَحمديْن أبو شادي وتيمور، بعدما تهيّأت لهما الأسباب المادية وفُرِش لهما سجّاد النشر، فزادت دواوينُهما المطبوعة عن أصابع اليدين، وهو في الشِّعر جدّ كثير، إذ إنّ إبراهيم ناجي بشهرته العريضة لا يملك من حطام الشّعر سوىٰ أربعة دواوين، وعبد السلام العجيلي ليس في حوذته سوىٰ ديوانه الوحيد (الليالي والنجوم) رغم أن الشّعر كان أحبّ ألوان الأدب إلىٰ نفسه. ويلحق بهؤلاء المكثرين، الشاعر شاكر مطلق الذي ربما خدمتْه دار النشر التي أنشأها وهي دار الذاكرة.

وقلّ بل ندر منهم مَن وهب نفسه كاملا للشّعر ووضعها طول الوقت في خدمة القصيد، إذ شمّر أغلبُهم وأدلىٰ بدلوه في بقية ضروب الأدب من قصة ورواية وغيرهما. ونظرا لتَلقّي التعليم الطبي بلغات غير العربية، فقد كتب نفرٌ منهم الشّعر بلغة أجنبية، كالطبيب والشاعر الجزائري أحمد

عروة الذي نظم الشعر بالفرنسية، لا عن غير إلمام بلغة الضاد ولكن رغبة منه في مخاطبة القوم بلغتهم والولوج إليهم في عقر هويتهم، بعدما أتقن اللسان الفرنسي كلامارتين ودي موسيه.

(٩) الأيدي الناعمة

ضمن وجبة من التثقيف الصحي تُناط بالفريق الطبّي المعالِج ككلّ، نرىٰ الطبيب الأديب، بوصفه جنرال هذا الفريق، ينسج من خيوط الشِّعر الذهبية وصايا ونصائح تسلك طريقا ممهَّدا كالحرير وسائغا كالماء الزلال، لتستقرّ في أعماق نفس وعقل المريض، وتنطبع علىٰ سلوكه أسلوبا صحّيا للعيش والحياة، وهذا من حسنات الشِّعر علىٰ الطبّ وأياديه البيضاء الناعمة التي لا تُنكر..

ومن هذا الصنْف البديع، نظَم الطبيبُ والشاعر السوري عبد الناصر الشيخ علي ديوانًا رفع فيه سبّابته محذّرا من مضار التدخين، وساق وصاياه للحفاظ علىٰ صحة الفم والأسنان، وغيرها من الموضوعات الطبية وقايةً وعلاجا، ومن نصائحه إلىٰ مرضىٰ السكّري يقول:

إنّ الوقايـــــة قـــــدْرَ حبّـــــةِ خـــــردلٍ،
أَجـــدىٰ وأنفـــعُ مـــن طبابـــة بَيْـــدرِ[1].

(١) بيدر: جرن، وهو مكان يجمع فيه القمح ونحوه ويُدرَس.

عُـــودا إلـــىٰ خبـــز النّخالـــة مـــأكلا،
فـــالعَوْدُ أحمـــدُ للرغيـــف الأســـمرِ.
والحَلَويـــاتُ إذا سَـــعِدْتَ بطعمهـــا،
تلقـــىٰ الندامـــةَ عنـــد بـــاب المَخبَـــرِ.
قـــدماكَ واحـــذر مـــن رطوبـــة جوّهـــا،
كـــي لا تُـــصاب غـــدًا بـــداء الغَنْغَـــرِ[1].
والتبـــغ تجـــري في العـــروق ســـمومُه،
وســـمومُه في الـــصدر طعْـــنُ الخنجـــرِ.
وافحـــص عيونَـــك بانتظـــامٍ كـــي تـــرىٰ،
ســـطرَ الحـــروف مـــن القيـــاس الأصـــغرِ.
هـــذي النـــصائح مـــن طبيـــبٍ عـــارفٍ،
لا تـــسمعنّ لغيـــر هـــذا المـــصدرِ.

وفي مبادئ الصحة العامة، وعلىٰ لسان الطبيب والفيلسوف والشاعر محمد بن المجلِّي بن الصائغ (ت١٧٥م)، الملقَّب بـ(العنتري) لأنه كان أوّل أمره يكتب أخبار عنترة العبسي، نقرأ بعض وصاياه علىٰ بحر الكامل، يخاطب من خلالها الجميع ولكن بصيغة الابن الحنونة التي تقتحم النفوس اقتحاما، وذلك ضمن قصيدة ميميّة تُنسب أحيانا إلىٰ ابن سينا

(١) الغَنْغَر: أي الغرغرينا، وهي موت الأنسجة نتيجة عدم كفاية إمدادات الدم.

وأحيانا أخرى إلى ابن بُطلان، ولكن الصحيح كما حكم ابن أبي أصيبعة أنها له، وفيها يقول:

احفـــظ بُنَـــيَّ وصـــيّتي واعْمَـــل بهـــا،
فالطـــبُّ مجمـــوعٌ بـــنصّ كلامِـــي
إيّـــاك تَلـــزمُ أكْـــلَ شـــيءٍ واحـــدٍ،
فتقـــودُ نفـــسَك لـــلأذى بزمـــامِ
واجعـــل غـــذاءَك كـــلّ يـــوم مـــرّةً،
واحـــذر طعامًـــا قبـــل هـــضم طعـــامِ
وأَقلِـــلْ نكاحـــكَ مـــا اســـتطعْتَ فإنـــه،
مـــاءُ الحيـــاة يُـــراق في الأرحـــامِ
ولا تَحقِـــرِ المـــرضَ اليـــسيرَ فإنـــه،
كالنـــارِ تُـــصبحُ وهـــي ذات ضِـــرامِ

أمّا الحكيم ابن سينا، فيوصينا خير وصية بالرياضة ويعدّد لنا فوائدَها، ثمّ يحذّر من مغبّة الإفراط فيها، فيقول:

أمّـــا الرياضـــات فمنهـــا المعتـــدِل،
وينبغـــي لمثـــل ذا أن يُمتثَـــل.
فإنـــه يُعـــدّل الأبـــدانا،

ويُخـــــــرج الأثفـــــــال[1] والأدرانـــــــا.
يُهيّـــــــئ الجـــــــسم للاغتـــــــذاء،
ويُـــــــصلح الـــــــصغيرَ للنّمـــــــاء.
وهـــــــو إذا أفـــــــرط يُـــــــسمّىٰ تعَبـــــــا،
يَـــــــستفرغ الـــــــروحَ ويُـــــــولي نـــــــصَبا.
ويُـــــــشعل الحـــــــرارة الغريبـــــــة،
ويُفـــــــرغ الجـــــــسمَ مـــــــن الرطوبـــــــة.
ويُـــــضعف الأعـــــصابَ مـــــن فـــــرط الألـــــم،
ويُهـــــرم الجـــــسمَ ولـــــم يـــــأت الهـــــرم.

وبينما نلحظ صيغة الوعظ المباشر فيما سبق من وصايا ونصائح، سنلحظ أن الطب قد يطلّ بحنكة ودهاء من الباب الخفيّ الخلفي للشّعر؛ فجُلّ الشّعراء الأطباء يفضّلون الكواليس علىٰ المسرح، لِما فيها من إثارة وإدهاش وثراء، وأحسبهم جميعا يعون جيّدا أنّ المباشرَ ة في الأدب سوْأة وفي الشِّعر سوْأتيْن.

ولا عجب إن تفلّتَت علوم التشريح والباثولوجيا والفسيولوجيا بين ثنايا شعرهم، حتىٰ لتشير بإصبعك إلىٰ قصيدة ما وتقول: هذه لا تخرج إلّا من سنّ قلم طبيب، ولْأضرب مثلا بهذه الأبيات للطبيب والشاعر نوري

(١) الأثفال: جمع ثَفْل وثُفْل، وهي الرواسب والأكدار

الوائلي واصفا فيها حال مريضٍ يئنّ في ليل حالك، ومشيرًا من طرف مضمَر إلىٰ حزمة من الأمراض كالعَشىٰ الليلي والأرق وهشاشة العظام وخشونة المفاصل والربو الشعبي، فيقول:

ليـــــلُ العليـــــل ســـــوادُه لا ينجلـــــي،
وجفونُـــــه والمقْلتـــــان خـــــصام.
ولـــــسانه مُـــــرّ المـــــذاق كأنّمـــــا،
فيـــــه المطـــــاعم علقـــــم وسِـــــمام.
والعـــــين تعـــــشو في الظـــــلام لـــــضعفها،
والليـــــل ألْيـــــل والـــــضحىٰ إعتـــــام.
والـــــذهن مـــــن هـــــمّ الحيـــــاة مـــــشوّش،
والفكـــــر قـــــد لعبَـــــت بـــــه الأوهـــــام.
كـــــلّ المفاصـــــل والعظـــــام تنخَّـــــرَت،
والظهـــــر قـــــوس والعـــــصا أقـــــدام.
مـــــا حـــــالُ مَـــــن عـــــاش الليـــــالي جالـــــسا،
والـــــصدرُ ضـــــيّق والـــــسّعال ضـــــرام.

وفي خطوة لإثبات قدرة اللغة العربية علىٰ التعبير عن العلوم الحديثة مهما بلغت صعوبتها، وإيمانا بأن العلم والفنّ وجهان للحقيقة؛ نظم الطبيب النفسي يحيىٰ الرخاوي ديوانه (سرّ اللّعبة)، فطوّع فيه حقائق

العلم للتعبير الفني وضمّنه أهم قضايا علم النفس المرضي، ثمّ صدّره بإهداء إلىٰ الكبيريْن صلاح عبد الصبور وعبد الرحمن الأبنودي. وبينما مدح عبد الصبور الديوان ونعته بالشِّعر الخالص، فقد مدح الأبنودي صاحب الديوان ولقّبه بالشاعر الواعر، والواعر هنا دلالة علىٰ العمق وتجري كثيرا علىٰ ألسنة أهل الصعيد، ومَن للّسان الصعيدي سوىٰ الأبنودي؟!

وعلىٰ النهج ذاته، وتأكيدا لامتلاكه ناصية الطب والشّعر معا؛ نظم الطبيب والشاعر العماني القديم راشد بن عميرة الرستاقي والمشهور بابن هشام (ت ١٦١٠م)، قصيدة دالية وأخرىٰ رائية تعرّض فيهما لتشريح جسد الإنسان من مفرق الرأس إلىٰ إخمص القدمين، ثمّ نظم قصيدة ميميّة بسط فيها تشريح العين وما يعتريها من أمراض وكيفية علاجها.

ومن اللطيف أن الشِّعر كان في بعض الأحيان وسيطا بين المريض وطبيبه، هذا يشكو ويستجلب الدواء وذاك يواسي ويصف العلاج، وتلك والله مساجلات ما أظرفها! فها هو الشاعر أبو اسماعيل الطغرائي (ت١١٢١م)، صاحب لامية العجم الشهيرة، يكتب شكواه إلىٰ الطبيب والشاعر ابن التلميذ (ت١١٦٥م)، وهو آنذاك أبقراط الدهر وجالينوس العصر، فيقول:

يـــــا ســـــيّدي والـــــذي مودّتـــــه
عنـــــدي روحٌ يحيـــــا بهـــــا الجـــــسدُ
مِـــــن ألـــــمِ الظَّهـــــرِ أســـــتغيث وهـــــل
يَـــــألَم ظهـــــرٌ إليـــــك يـــــستندُ

وهذا الشاعر علي ابن أفلح العبسي (ت١١٤٢م) يشقّ طريقه إلىٰ التعافي من مرض أَلمّ به، فكتب يستأذن ابن التلميذ في طعام يُسكت الجوع ويُذهب الصداع فيقول:

قـــد دفعْـــتُ الجـــوعَ واللهِ ولـــم أَســـطع دفاعَـــه
فـــاكْفني كلْفتَـــه الآن وجنّبنـــي صـــداعَه

فأذِن له طبيبُه ابن التلميذ في تناول الطعام بعد طول صيام، وأنهىٰ إلىٰ سمعه أن الصداع ناجم عن الجوع، فقال:

متـــىٰ لـــم تُكـــفَ شـــرَّ الجـــوع
لـــم تُكـــفَ صـــداعَه
فعلـــىٰ اســـمِ الله قَـــدِّم
أَخْـــذَه مـــن بعـــد ســـاعَه

(١٠) مسيرة حافلة

لا يكفي للمرء أن يمرّ في الحياة مرور الكرام، ولا يليق به أن يكون موجة خاملة في جدولها، بل لا بد أن يكون مروره مؤثّرا كشمس وفاعلا كغيث، وباقيًا خالدا ما أمكنه؛ فالتاريخ لا يحفل إلّا بأشاوس يخلّفون وراءهم نجاحات باذخة ومنجَزات راسخة..

وهنا نتساءل: ماذا أضاف هؤلاء الشّعراء الأطباء لمسيرة الشّعر؟

هل مرّوا مرور الكرام فكانوا مجرد قفّاز في غرفة عملياته الصاخبة، أو ساعٍ للبريد في مدينته العملاقة؟

أم لهم بصمات واضحة علىٰ جبينه وخطوات واثقة في مضماره؟

هنا نُعيد إلىٰ الواجهة مدرسة أبولّلو الشعرية التي أسّسها د. أحمد زكي أبو شادي برفقة صاحب الأطلال في ثلاثينيات القرن الماضي، حين تمرّدت علىٰ كلاسيكية البارودي وشوقي ومَن قبلهم، فجدّدت في شكل الشّعر ومضمونه، وراحت تغرف من ذات الشاعر وتجنح إلىٰ الرومانسية وتتغنّي بالطبيعة، وضمّت بن جنباتها شعراء كثرا في أوانها.

كما نذكّر بتأصيل النزعة الإسلامية عبر شعر الدكاترة محمد حكمت وليد ونوري الوائلي وعبد الجبّار ديّه ونجيب الكيلاني، حين انطلقت إبداعاتهم من تصوّر إسلامي للكون والحياة والإنسان. فالكيلاني –وهو المبرَّز حال الحديث عن الأدب الإسلامي شعرا وسردا ونثرا- له من الدواوين ستة (مهاجر- كيف ألقاك- مدينة الكبائر- أغاني الغرباء وهو أول دواوينه- عصر الشهداء- أغنيات الليل الطويل)، بثّها آمال أمّته وطموحاتها أكثر ممّا بثّها من ذاتٍ لاقت من الظلم ما قاست سجنًا ونفيًا، فكانت فاتحة قصائده عن نكبة فلسطين والعالميْن العربي والإسلامي عام ١٩٤٨م، ونراه يؤطّر رسالة شعرية تلي رسالته في الرواية التاريخية والواقعية، قائلا:

عشقتُ الفنَّ لا للفنِّ لكن للذي أسمَىٰ
وسدّدتُ قصيدَ الشِّعر في قلب الخنا سهمَا
عشقْتُ الفنَّ معراجًا إلىٰ غاياتنا الشُّمَّا
أردّد فوق قيثاري نشيدًا يشعل الهِمَّا

ولنا أن نُحَيّي الشاعر الحمصي عبد المعطي الدالاتي ذا التجربة المتفرّدة في نظم دواوين برمّتها للأطفال وأخرىٰ للفتيان، باعتبارهم نصف الحاضر وكلّ المستقبل، ودواوين أخرىٰ لمناجاة سماوية رقراقة أغرت المنشدين بتلحينها وغنائها. ومن إخلاصه للأدب والشّعر نراه درس

الأدب بعد انتهائه من دراسة الطب، واختار تخصّصا طبيًّا يتيح له الوقت والمجال للإبداع، وهو تخصص التحاليل الطبية والمختبَرات.. ومعلوم أن الكتابة للطفل هي الأصعب، ولكنها الأجدىٰ علىٰ المستوىٰ التربوي الحضاري.

أمّا الشاعر السوري الحَمَوي علي الناصر؛ فيَعدّه عبد السلام العجيلي وأمين الريحاني رائد الشعر السطري أو الشعر الحرّ أو شعر التفعيلة، سمّه كما تشاء. وذلك عبر أوّل ديوان نشره عام ١٩٢٨ بعنوان (قصة حب)..وعند هذا التاريخ كان عمر نازك الملائكة خمس سنوات وبدر شاكر السيّاب سنتين، وصلاح عبد الصبور لم يُولد بعد، وثلاثتهم يُنسب إليهم ريادة الشعر الحرّ. وهو –أي الناصر– مَن لُقِّب ببودلير الشعر العربي نظرا لحياته البوهيمية المتمرّدة غير العابئة إلّا بنفسه وشِعره، وجاء في وصف شِعره لدىٰ معجم البابطين الشهير، أنه صوفي كابن الفارض وخَمري كأبي نواس. ومن الطريف أنه فُتن بشعر الشيرازي فأراد أن يقرأه بلغته الأصلية علىٰ اعتبار أن الترجمة تأكل كبد الشّعر وتقرضه بمقراض من حديد، فتَعلّم الفارسية خصيصا لهذا الغرض.

وإليكم طبيب الأطفال المُولدي فرّوج، الذي نال بشعره جائزة الدولة التونسية للإبداع مرّتين (١٩٩٠، ١٩٩٥)، واختير عضوا في لجان تحكيم المسابقات الشّعرية أكثر من مرّة، ودشّن مشروعه الفريد في الجمْع

الصوتي للشعر العربي قبل نحو عشرين عاما(٢٠٠٣م)، ودُرّست قصائده في الجامعة التونسية وتُرجمت إلىٰ لغات عدّة وكانت موضوعا لرسائل وشهادات جامعية.

والشاعر وليد الصرّاف الذي يحمل بصدق وحبّ لواء الخليل دون حيدة، وفاز في مسابقة أمير الشعراء المنعقدة سنويا في دولة الإمارات (أبو ظبي)، وخصّ الأطفال بديوان شعريّ نحن في أمس الحاجة إلىٰ مثله، وبات جديرا بدراسات أكاديمية تعرّضت لشعره بالبحث والتحليل.

والشاعر أحمد تيمور صاحب أحد أشهر الصالونات الثقافية في مصر، وفارس الأمسية الشعرية الأوبرالية السنوية التي يدشّن فيها ديوانا جديدا يضمّه إلىٰ تلّ من الدواوين قارب الثلاثين، ويعدّه النقاد امتدادا لإبراهيم ناجي فيلقّبوه بناجي العصر الحديث، وهو امتداد يعني التأثّر لا التقليد، فالتأثُّر طبيعة الإنسان، ولا عيب في شاعر يتأثّر بغيره طالما صان نفسه عن التقليد واحتفظ لشعره بالاستقلالية واستبانت من خلاله ملامحه الشخصية.

وطبيب القلب الشاعر حَجَر البنعلي، الذي قدّم دراسات نقدية مزج فيها بين الطب والشّعر مثل(الداء والعذاب في شعر السيّاب) و(مجنون ليلىٰ بين الطب والأدب)، وجارىٰ الشنفرىٰ في لاميّة العرب والطغرائي في لاميّة العجم بـ(لاميّة الخليج) التي أرّخ فيها لحياته ورسم من خلالها

صورة شعرية ناطقة لبيئته القَطرية البدوية. إضافة إلىٰ قصيدة مطوّلة ضمّنها ديوانا منفصلا يسرد فيه سيرة حياة الحجر، ويردّ بها علىٰ من ارتأىٰ الحجَر رمزا للقسوة وراح يبالغ في التعجُّب من حجَر يكتب شعرا!

ولا ننسىٰ الطبيب الأردني الشاب هاني عبد الجوّاد، الذي دشّن مبادرة (القصيدة . كم) عام ٢٠١٥، وأوضح أنه موقع الكتروني يهتم بالشعراء العرب النابضين في قلب القصيدة بطريقة نوعيّة تحافظ علىٰ صحة جسد اللغة وتقيها الإصابة بأمراض الكلمة المزمنة، ويهدف إلىٰ اختصار الطريق علىٰ القراء الباحثين عن الشعر العربي المعاصر. ولا عجب أن يزور الموقع ملايين القراء سنويا، وذلك لِما يحتويه من آلاف القصائد المنتقاة معروضة بتنسيق جذّاب وبطريقة تفاعلية، إلىٰ جانب ركن خاص للقصائد المترجَمة، وآخَر للقصائد الصوتية.

وأخيرا وليس بآخِر، رائد طب التغذية العلاجية في مصر، الشاعر عبد الحميد محمود، الذي نال جائزة الدولة التشجيعية في مصر عام ١٩٩٨م، وجائزة التميّز الشعري من اتحاد كتاب مصر، وانقطع للشّعر أربع سنوات كاملة (١٩٨٤-١٩٨٨) غزر فيها إنتاجه وطافت قصائده بأروقة الصحافة والإذاعة والتليفزيون والمسرح، بل وصدح بشعره مشاهير أهل الطرب نساء ورجالا.

جدير بالذكر أن بعض أشعار هؤلاء الأطباء، وجدت طريقها إلى عقول الأجيال وأسهمت في تشكيل الوعي والذائقة، وذلك على وقْع تدريسها في المدارس والجامعات، آخرها (قصيدة نصائح طبيب) للطبيب العماني الشاب أحمد الفارسي والتي تُدرّس لطلّاب الصف الخامس الابتدائي في السلطنة.

(١١) رُبّ ضارّة نافعة

رغم أن لكل ثقافة شِعرها المميِّز لها والمعبِّر عنها؛ إلّا أن قيمًا إنسانية عالمية قد تجمع هذه الثقافات علىٰ قلب رجل واحد وتصهرها في بوتقة مشتركة، وهذا المشترَك الإنساني تحديدا، هو الذي يسوّغ عملية الترجمة كرافد حاضري، ويفتح المجال للتعاطي معها تأثيرا وتأثُّرا.

وعطْفًا علىٰ ما تقدّم من أيادٍ بيضاء للشُّعراء الأطباء علىٰ مسيرة الشّعر العربي، كان لا بدّ من الإشارة إلىٰ دورهم الفاعل في ترجمة الشّعر من اللغات الأجنبية إلىٰ العربية. فدراستهم الطبية باللغات الأجنبية، وإن حرمتْهم لسنوات من عربيّة خلع عليها العقّاد لقب اللغة الشاعرة؛ إلّا أنّها وتحت وطأة إعراضٍ غير مبرَّر عن تعريب الطبّ، أتاحت لهم فرصة إتقانها كأهلها، ومن ثمّ استثمارها في نقل المنتوج الشعري الأجنبي إلىٰ العربية..ولرُبّ ضارة نافعة.

استغلّ إبراهيم ناجي تبحّره في أكثر من لغة أجنبية، فترجم عن الفرنسية مختارات من ديوان (أزهار الشرّ) للشاعر الرومانسي السوداوي شارل بودلير، وأرفق ترجمته بدراسة عن شخصية بودلير انطلق فيها من معطفه

الأبيض وتقمّص خلالها دور المحلّل النفسي، فخلُص إلىٰ إدانة بودلير بعقدة أوديب وحيازته لمزيج من السادية والمازوكية، مع غلبة الأخيرة. كما ترجم عن الإنجليزية بعضَ قصائد شاعر ألمانيا الأشهر جوتة، ونُتَفا من شعر شكسبير، إلىٰ جانب ترجمات أخرىٰ ولكن في غير حقل الشّعر. وعلىٰ النهج ذاته ترجم الطبيب والشاعر نقولا فياض عن الإنجليزية وترجم من الفرنسية عن لا مارتين ودي موسيه.

وفي (الاتجاه المعاكس) الذي لا يمتّ لقناة الجزيرة وفارسها فيصل القاسم بصلة؛ ترجم الطبيب والشاعر المولدي فرّوج من العربية إلىٰ الفرنسية بتكليف من وزارة الثقافة الإماراتية تارة، وبمبادرة شخصية منه تارة أخرىٰ، وهو الضليع في فرنسية كتب بها أُولىٰ قصائده إبّان سنّ الثالثة عشرة!

وبينما تَخصّص الطبيب السعودي شريف الشهراني في ترجمة الشّعر من الإنجليزية، ومثله الطبيب والشاعر عبد المقصود عبد الكريم الذي يقرّ بأنّ الخيانة في ترجمة الشّعر خيانة مزدوجة، ويعتبر دوره في ترجمة الشّعر امتدادا لدوره في الشعر خاصة وفي الثقافة عامة.. فإن الطبيب والشاعر شاكر مطلق، قد أفاد من دراسته لطبّ جراحة العيون في ألمانيا، وراح يترجم أشعارًا لمشاهير الشعراء الألمان جوته وهاينرش هاينه وهانز بوتشر، ثم استعار اللغة الألمانية كوسيط نقل من خلاله الشّعر

الياباني وما يُعرف بقصيدة الهايكو إلىٰ العربية، ولعلّ هذه الترجمات اليابانية هي التي غذّت فيه روح المبادرة إلىٰ كتابة ما يُسمّىٰ بقصيدة هايكو عربية! وعلىٰ خطاه سار الطبيب والأديب والدبلوماسي الأردني محمد صبحي أبو غنيمة الذي درس الطبّ في جامعة برلين وترجم إلىٰ العربية عن الشاعر الألماني هاينَه.

وفي القلم النسائي؛ تبرز الطبيبة حَنين عمر، المجيدة للّغات الفرنسية والإنجليزية والعربية، والمتخصّصة في الترجمة الشِّعرية، ممّا أهّلها لإدارة ما يُعرف بمشروع الترجمة الأمينة، والذي من خلاله نقلت مئات القصائد من الشّعر الفرنسي إلىٰ العربية، ثمّ أصدرت كتابها (مِمُوريام) المتضمِّن لمائة نص شعري مترجَم عن شعراء الفرنسية في القرن التاسع عشر، ولازالت تغرف من هنا وهناك. أمّا الطبيبة والشاعرة ميّ حنا سعادة، فقد قصرت ترجمتَها علىٰ قصائد ولدها الطبيب أيضا (حنّا سعادة)، والذي يكتب الشِّعر كأمّه وجدّه الملقَّب بـ (مَعرِّي أميون)[1]، وله أربعة دواوين، ولكن بالإنجليزية فقط نظرا لاغترابه بالولايات المتحدة الأمريكية.

والحقيقة أن ترجمة الشّعر مغامرة تقترب من تسلّق قمّة إيفرست، ومخاطرة توازي السباحة قبالة شلالات نياجرا، وتحدٍّ لا يوازيه غير ترجمة الكتب المقدّسة أو محاولة وصف مذاق طعام شهيّ ورائحة عطر

(١) يعود اللقب إلى جمعه بين الشّعر والعمَى كأبي العلاء المعرّي، إذ فقد بصره وهو ابن شهرين.

أخّاذ، بل إنّ الجاحظ في (الحيوان) أخرجه من سياق الممكن ووضعه في خانة المستحيل بقوله: "الشّعر لا يُستطاع أن يُترجَم، ولا يجوز عليه النقل، ومتىٰ حُوِّل تَقطّع نظمُه وبطل وزنُه وذهب حُسنُه وسقط موضعُ التعجّب فيه". وأمّن الشاعر الأمريكي روبرت فروست علىٰ طرح الجاحظ، فشهد بأن الشِّعرَ: ما يضيع في الترجمة.

وتنبع المخاطرة والمغامرة والتحدّي، من كوْن الشّعر موسيقىٰ قبل أن يكون معنىٰ، وروحا قبل أن يكون جسدا، وعاطفة قبل أن يكون لغة، ثم إنه زاخر بالتلميحات والإيحاءات وتكثر فيه الظلال والأصداء، وهو ما يضع المترجِم في مأزق من خياريْن لا ثالث لهما؛ إمّا أن يحافظ قدر الإمكان علىٰ الموسيقىٰ والروح والعاطفة فيُبدع قصيدةً موازية وينأىٰ عن النص الأصلي بمسافة ليست قليلة، أو يحفظ للنص الأصلي هيبته فيقدّم للقارئ نصًّا نثريا باهتا يفتقر إلىٰ روح الشّعر وإيقاعه، والخيار الأوّل –وهو الأجود– لن نجده إلّا في قلم مترجِمٍ من الشعراء الناقدين الأمناء الحاذقين في اللغتيْن المعنيّتيْن بالترجمة. ولعلّ هذا يفسّر ضآلة الشّعر المترجَم إذا ما قُورن بغيره من الترجمات الأدبية.

ولنا أن نفرّق ونميّز، فالترجمات ليست كلّها سواء، بل تختلف باختلاف اللغة المترجَم منها وإليها، إذ تحمل كلُّ لغة خصائص دلالية وصوتية متفرّدة؛ فاللغة الشِّعرية الألمانية –علىٰ قول الشاعرة والمترجمة

الفلسطينية سلمىٰ الجيوسي- أقدر بكثير من اللغة الشِّعرية الإنجليزية علىٰ استيعاب البلاغة العربية، واللغة الشِّعرية الفرنسية أقرب بكثير إلىٰ العاطفة الشِّعرية العربية من الإنجليزية، ولعل اللغة الإنجليزية أشدّ مقاومة من جميع اللغات لروح اللغة الشعرية العربية.

كما تختلف الترجمة أيضا باختلاف النص المترجَم؛ فبعض القصائد غارقة في الرمز ويغلب فيها الطابع المحلّي علىٰ المشترَك الإنساني العالمي، وهذا يصعّب جدّا من مهمة المترجِم مهما بلغت إجادته للّغة وأمانته في النقل. أمّا الترجمة من لغة وسيطة فهي أكثر تعقيدا، إذ يجري مضغ القصيدة مرّتيْن وقضمها بلغتين وقصّ جناحها عبر مترجِميْن، وكان الله في عون قصيدة تتعرّض لمحنة كهذه!

وإلىٰ أن يَنضج العالَمُ بما يكفي لاعتناق لغة موحَّدة يستغني بها عن الترجمة، ستواصل قافلة الترجمة الشّعرية سيرها بغْية توسيع المدارك وتلاقح الثقافات وتخصيب التواصل، وذلك عبر الاطلاع علىٰ ما يدور في الحسّ والذوق لأُناس علىٰ الشاطئ الآخَر يشاركونا الأرض والسماء والهواء، ويخالفونا في الفكر والمعتقَد، وهذا ولا ريب مفيد إن لم يكن علىٰ مستوىٰ القرّاء فعلىٰ مستوىٰ الباحثين والنقّاد المهتمين بمعرفة ما يستجدّ من معالم فكرية واتجاهات فنيّة يمكن اقتباسها والتساوق معها.

(١٢) على خطى ابن سينا

في ميدان الحرف وعلىٰ جسد القصيد، كثيرا ما وظّف الشعراءُ الطبَّ في شعرهم؛ فوصف المتنبّي إصابتَه بحمّىٰ التيفود أو الملاريا في قصيدة ذائعة الصيت عنوانها (زائرة الليل)، وتبعه صلاح عبد الصبور حال تشريحه لاكتئابٍ عانىٰ منه طيلة حياته، وأمل دنقل وبدر شاكر السيّاب في البوح عن عذاباتهما مع المرض العضال، وغيرهم من شعراء كثُر اعتصرتْهم مؤخَّرا جائحةُ كورونا ففاضت قرائحُهم بشتّىٰ ألوان الطيف الشّعري.

ولا ننسىٰ ابن الوردي الذي لمز الطاعونَ بقصيدة عصماء كانت آخر ما كتبه قبل وفاته بالداء ذاته، ونازك الملائكة المَدينة بالفضل لقصيدتها عن وباءٍ للكوليرا اجتاح مصر عام ١٩٤٧م، وعدّها كثير من النقّاد حجر الزاوية في جدار مدرسة الشّعر الحرّ.

أمّا البحتري، فاستعار من الطبّ صورة جرح أُهمل وتعفّن، وصاغ بحرفه حكمة لا تخفىٰ في بيتيْن قال فيهما:

إذا مـــــا الجـــــرح رمّ علـــــىٰ فـــــساد،
تَبـــــيّن فيـــــه تفـــــريطُ الطبيـــــب.
رزيّـــــةُ هالـــــكٍ جلبَـــــت رزايـــــا،
وخطْـــبٌ بـــات يكـــشف عـــن خطـــوب.

ومثله عنترة العبسي، حين رسم لوحة بارعة لشجاعته وفروسيته في الكرّ والفرّ، مقترضًا ألوان الطبّ وفرشاته، فقال:

وســـــيفي كـــــان في الهيجـــــا طبيبـــــا
يـــــداوي رأس مَـــــن يـــــشكو الـــــصداعا

وعلىٰ قول المثل الشعبي (كلّه سلف ودين)، وطريقة (خد وهات) التي تُعدّ أقدم وأبسط طرق التعايش بين الكائنات علىٰ وجه البسيطة؛ نجد الأطباءَ أيضا وظّفوا الشِّعر في متون تعليمية تحفظ علم الطبّ وتفسّره وتيسّره لدارسيه، وذلك علىٰ غرار منظومات عدّة صِيغت في العلوم اللسانية والشرعية والعقلية والمعارف العامة، لينكبّ عليها الطلّاب كالأكلة علىٰ قصعتهم، ويستظهروها صغارًا كانوا في المدارس والمعاهد أو كبارًا في الجامعات والأكاديميات.

ومن بين هذه المنظومات الطبيّة العديدة قديما وحديثا، علا كعب ابنُ سينا (ت ١٠٣٧م) وحلّق نسرُه، فسجّل ريادته بقصيدة ملحمية تخطّت الألف بيت (١٣٢٦) علىٰ بحر من بحور الشعر الستة عشر، سهل النظْم

وشائع الاستخدام في المتون التعليمية، وهو بحر الرَّجَز الملقَّب بحمار الشعراء، ومنه سمّيت أرجوزة. وقد فضّلها ابن زهر الأندلسي على كتاب (القانون في الطب) رغم موسوعية القانون وشهرته، فقال إنها تقوم مقام جملة كُتُب في صناعة الطب، وأَشتمّ – وبعض الشمّ وهْم- من مقولة ابن زهر انتقاصا من كتاب القانون أكثر من كوْنه مدحا في الأرجوزة؛ إذ قرأت أنه حمل حملة شنيعة على القانون ووصفه بأنه لا يساوي ما كُتب عليه من ورق أبيض!

وقد تُرجمت الأرجوزة إلى اللاتينية في القرون الوسطى، وتناولها ابن رشد بالشرح، ثم تُرجمت إلى لغات أخرى عدّة وعالجها الكثيرون بالشرح وتناوبت عليها الرسائل الجامعية الأكاديمية، ولازالت ماثلة بيننا وشاهدة على استحقاق صاحبها لأوسع ألقابه شهرة وهو (الشيخ الرئيس)، أو (العقل الفعّال) كما سمّاه العقاد؛ استنادا إلى أنه خطّ في الثقافة الإنسانية قصارى ما تخطّه العقول..

وفي صدرها نجد توثيقًا لعلاقة الطبّ بالشّعر فيقول:

والشعراء أمراء الألسن
كما الأطباء ملوك البدن
هذا يصون النفسَ بالفصاحة
وذا يطبّ الجسمَ بالنصاحة

ثمّ يشير في أرجوزة ثانية[1]، إلىٰ الفائدة الجليلة للجلد كحارسٍ أمينٍ للبدن، فيقول:

"والجلد سورًا دايرًا علىٰ الجسد،
يحجبه من الأذىٰ إذا ورَد"

وفي محاولة جادّة لتبييض وجه المعدة التي وُصمت من قديم بأنها بيت الداء، يقول:

أقلّ ما يُؤكل في النهار
والليل مرّة من المرار
وأكثر الأكلات مرّتيْن
والأوسط الثلاث في يوميْن
وأَطِل زمان الأكل تستتمّه
ودقّق المضوغ تستهضمه
وكلّ ما يأبىٰ عليك قضْمه
فإنه صعبٌ عليك هضْمه

(١) قد لا يعلم الكثيرون أن لابن سينا ثلاث أرجوزات لا واحدة، أولاها وهي المشهورة والأكبر في (١٣٢٦) بيتا، والثانية في المجربات وتشمل (١٣١) بيتا، والثالثة في الوصايا الطبية وهي الأصغر إذ جاءت في (٧١) بيتا.

وبعده بنحو مائة وخمسين عاما، لحقه ابن طفيل الأندلسي (ت١١٨٥م) صاحب القصة الفلسفية الشهيرة (حيّ بن يقظان)، وتلميذ المفسّر الكبير ابن عطية، ووزير دولة المرابطين والطبيب الخاص لأميرهم أبي يعقوب يوسف، وذلك بأرجوزة ألفيّة بلغت نحو ٧٧٠٠ بيتا، موجودة بخزانة القرويين في مدينة فاس المغربية كمخطوطة فريدة لا ثاني لها، وفيها ينشدنا عن التهاب العين فيقول:

"وقد يَعرض الجسءُ[1] للأجفانِ،
مع وجعٍ تحسّه العينانِ.
وحمرة وعسْرة انفتاحِ،
عند انقضاء النوم في الصباحِ"

وواضح أنّ الشهرة رزق، إذ إنّ أرجوزة ابن طفيل هي الأطول والأشمل بين كلّ الأرجوزات الطبيّة، ومع ذلك فاقتها أرجوزة ابن سينا في الذيوع، بل إنّ ابن طفيل يُعرف بروايته حيّ ابن يقظان أكثر ممّا يعرف بأرجوزته الموسوعية التي استقْصت تاريخ الداء والدواء وجالت في دروبهما وصالت!

وقد سبقهما ابن عبد ربّه الأندلسي (ت ٩٤٠م) صاحب كتاب (العقد الفريد)، بأرجوزة من مائتي بيت (٢٠٨)، أصدرها المركز العربي

(١) يقال جَسَأ الشيء، أي صَلُب وخَشُن

للتأليف والترجمة بدولة الكويت، فحوت مبادئ الطب ومباحثه في أسلوب سلس مرن جذّاب، منها ما قيل بخصوص جسّ النبض وفائدته في تشخيص الأمراض علىٰ النحو التالي:

والقلب إن جرىٰ علىٰ القِوام،
في نبضه فالحال في سلام
والنبض إن نبا عن المعتاد،
من طبْعه دلّ علىٰ الفساد
ودلّ بالخلاف في الأنباض،
علىٰ ضروب السقم والأمراض

وعلىٰ خطاهم جاءت منظومة في الفصد للطبيب والشاعر سديد الدّين ابن رقيقة الشيباني، الذي عاش بدمشق في القرنين السادس والسابع الهجري، ومِن شعره في غير الأرجوزة، وردنا قولُه الحكيم المترسِّل:

لا يغرّنّك من زمانك بِشْرهُ،
فالبِشرُ منه لا محالةَ حائلُ
قُطوبُه طبعٌ وليس تطبُّعا،
والطبْع باقٍ والتطبُّع زائلُ

ولعل أحدث ما كُتب من أراجيز، أرجوزة في التشريح من نحو ألف بيت، نظمها الطبيب السوري الشاب محمد جهاد حاكمي، ونشرها عام

٢٠١٨، وفيها بسط منهج التشريح لطلّاب السنوات الأولىٰ في كلية الطب، لا سيّما في سورية التي تتفرّد بتدريس الطب في جامعة دمشق بالعربية، ولعل العدوىٰ تسري إلىٰ بقية كليات الطب بالجامعات العربية، وفي فحواها وعلّة نظْمها يقول:

وبَعـــــدُ فالتـــــشريحُ علـــــمٌ نـــــافع،
لكـــــل شـــــيء في الجـــــسومِ واقـــــع
فإنـــــه الأســـــاس في الجراحـــــة،
وأوّل العلـــــوم في الدراســـــة
لأجـــــل ذا نظمْـــــتُ في التـــــشريحِ،
أرجـــــوزةً في غايـــــة التوضـــــيحِ
ضـــــمّنْتُها مـــــا جـــــاء في الأجـــــسام،
مـــــن كـــــلّ عـــــضلاتٍ ومـــــن عظـــــام
أوعيـــــةً أضِـــــف ومـــــن أعـــــصاب،
فـــــصُغتُها إلـــــىٰ أُولـــــي الألبـــــاب
بواضـــــح المعنـــــىٰ وقـــــرْب اللفـــــظ،
حتـــــىٰ تكـــــون ســـــهلةً في الحفـــــظ
أرجـــــو بهـــــا أن تنفـــــع الطلّابَـــــا،
والأجـــــرَ والقبـــــولَ والثوابَـــــا

وهنا نلحظ أن هذه المنظومات وفّت بحقّ المظهر الخارجي للشِّعر المتمثِّل في الوزن والمعنىٰ، ولكنها قصّرت تجاه شاعريته الداخلية الكائنة في جمالية التخييل وبراعة التصوير، وهو واقع فرضتْه المادة العلمية الجافة والباردة، ولا حيلة للمُضطر سوىٰ ركوب الصعب.

كما سنلحظ –والملاحظة أوّل العلم– قلّة هذه المنظومات في العدد، وحضورها الباهت في أروقة الطب حتىٰ أنها لم تطرق بابي إلّا عبر قراءاتي الحرّة وعقب مضيّ سنوات علىٰ تخرّجي! وتلك نتيجة حتميّة لحرمة تداول اللغة العربية في بورصة الطب العربية. ولو استقام الميزان وعدنا إلىٰ وعينا وانتصرنا لهويّتنا؛ لانهالت المنظومات من كلّ صوب وحدب، وارتقت في الإبداع قمما وبلغت شأوا، ولكن ماذا تقول فيمن يصرّون علىٰ هزيمتنا في عقر دارنا وبيدنا لا بيد مايكل أو كورزاكوف!! وإلىٰ الله المُشتكَىٰ.

(١٣) العلاج بالشِّعر؟

بدءًا من النصف الثاني في القرن الثامن عشر، وفي خطوة للانعتاق من عقاقير ضاقت بها دماء البشر ومن عمليات جراحية ما سلم جِلدُ امرئ من نُدوبها؛ وظّف الأطباءُ الشّعرَ في علاج المرضىٰ، حتىٰ غدا اليوم صيحة علاجية معروفة لدىٰ الغرب، لا سيّما في بلد الحداثة وزعيمة العالَم، أمريكا، وذلك ضمن المصحّات النفسية، وداخل أروقة مراكز التأهيل القائمة علىٰ رعاية كبار السنّ وذوي الأمراض المستعصية، كنوع من التطهير الذي قال به أرسطو قديما في حقّ تراجيديا الملاحم الشِّعريّة.

وفيه نرىٰ الشِّعرَ يُعمل مشرطَه الرقيق الأنيق؛ بغْية تفجير كوامن الشعور لدىٰ المريض وطرح تجاربه المؤلمة المستقرّة في اللاوعي، بعيْد تعريتها وإخراجها إلىٰ حيّز الوعي، وذلك عبر جلسات شعرية لقصائد منتَقاة ذات لغة ومعانٍ وصور واضحة، يلقيها الطبيب بتؤدة كما الشاعر فوق منبره، ثمّ يَشرع في إدارة نقاش وجداني حولها بغية الإسقاط النفسي، دون السعي إلىٰ الإلمام باللّغة والمعارف التي يختزنها القصيد في جعبته،

بمعنىٰ أن التركيز ينصبّ علىٰ البعد النفسي للشّعر دون بُعديْه الأخلاقي والمعرفي.

والعلاج بالشِّعر غرض قديم نبّه إليه الطبيب الروماني سورانوس في القرن الأوّل الميلادي حين دأب علىٰ تضمين الشّعر والمسرح في خطّته العلاجية البدائية آنذاك، وألمَح إليه قيس بن الملوّح (مجنون ليلىٰ) بقوله: "ولا أَنشد الشّعر إلّا تداويا"، ثم أظهر استعداده للكشف المنزلي مهما كلّفه ذلك من مشاقّ السفر، شريطة أن تكون المريضة فاتنة قلبه ومعشوقة روحه، فقال:

يقولـــــون ليلـــــىٰ بـــــالعراق مريـــــضة،
فيـــــا ليتنـــــي كنـــــتُ الطبيـــــبَ المُـــــداويا

هذا قبل أن يؤلّف فيه فاروق شوشة كتابا عنوانه (العلاج بالشّعر)، ويُدلي في حقّه أمل دنقل بشهادة خاطفة قائلا: "الشعر بديل الانتحار"، ويُسطّر الطبيب والشاعر ريكان إبراهيم كتابا آخَر بعنوان (جلسات علاج شعرية للعراق المريض)، وفيه لا يعالج مريضا بالفصام أو الذهان علىٰ عادته كمتخصّص في الطب النفسي، بل يعالج عراقا عليلا بالتمزّق والتشرذم والانسحاق، عبر مطوَّلة شعريّة مقسَّمة إلىٰ جلسات يأخذ بعضها برقاب بعض، ليدلّل علىٰ إيمانه العميق بالشّعر كملاذ للروح، رغم تصريحه بأنه لا يحبّ الشعراء حسب عنوان كتاب ثان له. وما

كراهيته للشّعراء إلّا لخطيئتيْن كبيرتيْن ارتكبهما –على حدّ تعبيره– الشاعرُ العربي دون سواه، وهما: البكاء على الأطلال، والمدح الرخيص بغرض الانتفاع والتربّح.

وكما راقني تشبيه الطبيبَ والشاعرَ بأنهما نحلتان حامتا حول زهرة واحدة، ثم امتصّتاها وسكبتاها عسلا صافيا لذيذا في إنائيْن مختلفيْن؛ فقد راقني موقف الطبيب والشاعر وجيه البارودي، حين زاره في العيادة عاشق يشكو مرارة هجر حبيبته له، ويقاسي أعراض اكتئابٍ أفسد عليه مزاجه وقلب حياته رأسا على عقب، فوصف له بيتا من شعر المتنبّي يردّده عشرات المرات حتى يبرأ، وفيه يقول حكيم الشّعر ومُتنبّيه:

"إذا غدرَت حسناءُ فقد وفّت بعهدها
فمِن عهدها ألّا يدوم لها عهد"

بل إنّ البارودي نفسه قد تداوى بتمْتمات اختلط فيها الشّعر بالحبّ، وسطّر تجربته الأسطورية هذه شعرا فقال:

أُذُني التي التهبَت وعزّ دواؤها،
عامَيْن من جرّائها أتوجّع
قلت امسحي أذني بفيك وتَمْتِمي فيها،
فمِن فمِك الدواءُ الأنجع
واللهِ ثمّ اللهِ يومٌ بعد يوم،

إذا أُذُني تجـــــــــــفّ وأســـــــــــمع!

ثم إنّ ابن الرومي، عانىٰ طويلا من التشاؤم والرهاب، ولازمه الإفراط في التطيّر إلىٰ درجة نغّصت عليه عيشَه وكدّرت خاطرَه، وكتب عنه قائلا:

فمـــا زلـــتُ في خـــوف وجـــوع ووحـــشة
وفي ســـــهرٍ يـــــستغرق الليـــــل واصـــــبِ
طـــــورًا يغـــــاديني بلـــــصٍّ مـــــصلت
وطـــــورا يمـــــسيني بـــــورد المـــــشاربِ
ومـــــا زال يبغينـــــي الحتـــــوفَ مواربـــــا
يحـــــوم علـــــىٰ قتلـــــي وغيـــــر مـــــواربِ

وهكذا استمرّت معاناته إلىٰ أن تلا عليه الشاعر برذعة الموسوس قصيدة، أقسم ابن الرومي قائلا: والله بعدها ما تطيّرت.. وفيها تقمّص الشاعر دور الطبيب النفسي فقال:

ومَـــن صـــحب الـــدنيا علـــىٰ جـــور حكْمهـــا
فأيّامـــــــــه محفوفـــــــــة بالمـــــــــصائبِ
فخُـــذ خلـــسةً مـــن كـــلِّ يـــومٍ تعيـــشه
وكُـــن حـــذرًا مـــن كامنـــاتِ العواقـــبِ
ودَع عنـــك ذكـــرَ الفـــأل والزّجـــر واطّـــرح
تطيُّـــــــرَ دارٍ أو تفـــــــاؤل صـــــــاحبِ

وعن تجربتها الذاتية في العلاج بالشِّعر، ألّفت كيم روسن كتابها "أنقذتني القصيدة"، في إشارة إلىٰ نوبة اكتئاب عصفت بها عام ١٩٩٤، وكان الشِّعر هو الذي أعاد ولادتها من جديد وصار ترياقها الدائم بعد ذلك. وكذلك الشاعر الأمريكي الشهير والاس ستيفنز (١٨٧٩-١٩٥٥) الذي باغته سرطان المعدة في أخريات عمره وعانىٰ آلاما مبرحة استعان عليها بكتابة الشِّعر الذي لم يخذله في محنته وكان له البلسم إلىٰ حين.

وكتب الزميل الطبيب والشاعر العراقي د. علي الطائي عن إهدائه دواوينه الشعرية إلىٰ بعض مرضاه وتَلقِّيه ردودًا إيجابية عن تأثير الشِّعر علىٰ صحتهم، وضرب مثلا بمريضته (إيمان) التي عانت الاكتئاب عقب وفاة والديْها، وكيف أنها اطمأنّت وتعافت بفعل قصائده، حتىٰ إنها حفظت عددا منها.

وإلىٰ أبعد وأعمق من علاج الاكتئاب ذهب يوحنا بن ماسويه بالشّعر في العلاج؛ إذ اشتكىٰ إليه رجل من ضعف الباءة، أي القوّة الجنسية، وهي محنة عظيمة لا تدانيها محنة وفي سبيل التعافي منها قد يبذل المرء أغلىٰ ما يملك؛ فوصف له ابن ماسويه (ت ٨٥٧م) وهو أشهر أطباء عصره والمشرف علىٰ أطباء البلاط العباسي آنئذ: أكْل الكباب وقراءة شعر أبي الخطاب، يعني عمر بن ربيعة، وهو الشهير بغزلياته الجريئة غير العفيفة.

والواقع أن الطبيب أحقّ الناس في الاستشفاء بالشّعر، إن استطاع إلىٰ ذلك سبيلا، ولكن علىٰ طريقة الكتابة التعبيرية التي تداعب ولع الإنسان بالحديث عن نفسه والكتابة عن ذاته، وتهدف إلىٰ التأمّل الباطني دون النّشر للقرّاء، والمعتمَدة أيضا كبديل علاجي. فهو في ممارساته اليومية بين الأسرّة البيضاء، يجابه آلاما حارقة تجتاح مرضاه اجتياح هتلر للعالَم وبوتين لأوكرانيا، وبحكم الثبات الانفعالي الواجب في حقّه، لا يمكنه التعبير عن مشاعره بحرية كاملة مراعاة للمرضىٰ وذويهم، وهنا يأتي دور كتابة الشعر كمتنفَّس وواحة، يُفرغ فيه ما كبَته ويُودعه ما اعتمل بين جوانحه. ولأن الطبّ فنّ تتقدّمه المعرفة بخطوتيْن، فالطبيب بحاجة إلىٰ الشّعر كمعرفة يسبقها الفنّ بخطوتين، وذلك ليعيد التوازن إلىٰ معادلة مختلّة الطرفيْن، ويحيا بعدها بهيًّا كأبهىٰ ما تكون الحياة.

وكم كان مثيرا، اجتماع الشِّعر مع الفنّ والطب قبل سنوات قلائل، ضمن حملة تجمع تبرّعات مالية لصالح معهد بحوث السرطان في بريطانيا، وذلك حين نظم الشاعر سيمون أرميتاج قصيدة، ثم نقشتْها يد الفنان غراهام شورت علىٰ حبة دواء بعرض ٢٠مم! وهي القصيدة التي قال عنها شاعرها: مثل العلوم، الشّعر هو نشاط يدور حول التساؤل: "ماذا لو؟" بنتائج متخيَّلة واحتمالات قائمة علىٰ التفكير الإبداعي.

وفي ظنّي، أن العلاج بالشّعر ربّما يجد صداه لدىٰ الأطباء النفسيين الحائزين لميول أدبية وذائقة شعريّة، علىٰ أن يحمل المتلقّي أيضا وعيا عاليا بالشّعر كقيمة فنية وثيقة الصلة بالنفس الإنسانية، وإلىٰ أن يتحقّق هذان الشرطان لدينْا، وهو حلم بعيد المنال، سنظلّ نكتفي بالقراءة والكتابة عن العلاج بالشّعر دون دخوله إلىٰ حيّز الواقع، كغيره من علاجات بديلة يحتفي بها الغرب دون الشرق، كالاستشفاء بالموسيقىٰ والرسم والقراءة والكتابة واللعب واليوجا، وغيرها..

مع التأكيد علىٰ أن الله جلّ في علاه قد أبدلَنا بالشّعر خيرَ ما يُستشفَىٰ به، وهو كلام الله تعالىٰ المنزَّل علىٰ نبيه محمّد صلّىٰ الله عليه وسلم، المعجِز بلفظه، المتعبَّد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المفتتَح بسورة الفاتحة والمنتهِي بسورة الناس.. ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا﴾[1].

(١) الإسراء ٨٢ .

(١٤) قلبان في جوْف واحد

بعين البصيرة لا البصر، أرىٰ أن الطبّ والشّعر كلًّا منهما وقود للآخَر؛ فحين يتمثل الطبُّ روحَ الشّعر يكتسب قناة جديدة فريدة للتواصل مع المريض، علىٰ اعتبار أن القصيدة -علىٰ قول فاروق شاشة- أقصر مسافة عاطفية بين نقطتين، والنقطتين هنا هما الطبيب والمريض. كما يصبح الطب بالرقّة والعذوبة والإنسانية اللازمة للتعامل مع مريض هشّ كزجاج وضعيف كطفل وبائس كغريق.. وساعتها لن نستغرب موقف الدكتور إبراهيم ناجي وقتما أتاه أبٌ يصحب طفلا شاحبا هزيلا نحيلا، فأعطاه جنيها -كان ثروة أيامئذ- ليشتري به سمكا ولحما ودجاجا يعالج ما ألمّ بالطفل من فقر دم وسوء تغذية.

وكذلك الشّعر، حين يتشربّ روح الطبّ فإنه يسمو برسالته أكثر وأكثر؛ فيداوي ولا يجرح، ويلتحم مع الواقع بعيدا عن تهويمات لا صدىٰ لها ولا ظلال وسط أوجاعٍ وأسقامٍ تعانيها أمتُنا العربية والإسلامية. ثم إنّ الشّعر كما قال طه حسين وبابلو نيرودا، سيكون أكثر دقّة في اختيار الكلمات وأصدق في انطباع الوجدان علىٰ مرآة القصيد.

وفي ضوء ما قِيل بأنّ الطب كالفريك لا يحب الشَّريك، وأنه لا يعطيك بعضه إلّا إذا أعطيته كلَّك، لنا أن نتساءل: كيف طوّع هؤلاء الأطباء وقتهم فأفسحوا فيه فرجة للشّعر؟ وهل زاحم أحدُهما الآخَر كخصميْن لدوديْن، أم ناما علىٰ وساد واحد كزوجيْن عاشقيْن وقلبيْن في جوف واحد؟ وهل ثمّة سبيل لاعتزال الطب والتفرّغ للشّعر ولو بعد حين من العمر؟

وهنا نلتمس الجواب ممّن اختلط طبّه بشِعره اختلاط الدم بالعروق والعصب باللحم، وما من شعرة في بدنه إلّا منبتها الشِّعر وطرفها الطب، وكان طبيعيا أن يصدّر أُولىٰ دواوينه (بيني وبين الغواني) بقصيدته (الطب والشّعر)، إنه سيّد العشّاق، وجيه البارودي، الذي يجيب قائلا:

هواية الطبّ ما كانت لتصرفني
عن القوافي بل إنّ الطبّ أرهفني
فلي جناحان من طبٍّ ومن أدب
حلّقْتُ ما أحدٌ في الكون يدركني
فلا (فؤاد) بعلم الطبّ يلحقني
ولا (أبو ريشة)[1] بالشِّعر يسبقني

(١) يقصد الشاعر والدبلوماسي السوري عمر أبو ريشة، بينما (فؤاد) يبدو أنه طبيب سوري شهير عاصره البارودي.

أما الطبيب الوزير والشاعر القطري (حَجر البنعلي)، فقد ركب طائرته من الدوحة إلىٰ لندن أيام توليه وزارة الصحة، وأثناء تصفحه للجرائد القطرية لاحظ ثمّة جدل عقيم وتناقض مفتعَل يدعيه البعض بين مسؤولياته كوزير وتعاطيه الشعر الذي يقضم وقته وربّما يشوش عليه تركيزه الفنّي والإداري اللازم للقيام بأعباء الوزارة الثقيلة، فكان أن ردّ علىٰ طريقته بقصيدة عنوانها (الطبّ والشّعر)، وأرسلها للنشر من محطة وصوله في مدينة الضباب، وفيها يقول:

الطبُّ في القلب والأشعار في صدري،
كلاهما اقترنا كالدُرّ في البحرِ.
لم يُزْرِ شعرٌ بطبٍّ إن هما اقترنا،
كأنجُم الليل ما ساءت إلىٰ البدرِ.
بل زيّنَت دربَه زهرا لبهجته،
فآنستْهُ برقْصاتٍ إلىٰ الفجرِ.
نفثْتُ شعرًا علىٰ داءٍ فسكّنه،
فالطبّ مولده أصلا من السِّحرِ.
فالساحر الطَّبُّ والكُهّانُ قد مزجوا،
شعرًا بطبٍّ كمزْج الماء بالخمرِ.
لا أَبعد اللهُ عن عقلي وعن بصري،
طبَّ الحكيمِ وأبياتًا من الشّعرِ.

وبخصوص اعتزال الطب والتفرّغ للشّعر؛ فهذا ما حلمت به الطبيبة والشاعرة ميّ حنا سعادة، ولكن هيهات، فقد ظلّت تمارس الطب حتىٰ سنّ الخامسة والثمانين. وعن حلمها الجميل المآل والبعيد المنال، كتبَت في سيرتها الذاتية (مشوار العمر بين الطب والسياسة والشِّعر) التي سطّرتْها بعد تقاعدها عام ٢٠٠١، ونشرتْها في سن الخامسة والتسعين أي في عام ٢٠١٠: الطبّ أناني يستأثر ويأسر ويتحكّم ويستحكم، طالما حلمْتُ بطلاقه لأعاشر الشّعر، فلم يعطني طلاقا ولا هجرا.

ومع أن الطبّ يُضفي علىٰ صاحبه مكانة مرموقة ويُكسبه احتراما وتقديرا بين الناس؛ إلّا أنّ الشّعر قد يُسعفه في بعض الأحيان بمزيد من الاحترام والتقدير، بل ويُعوّضه عمّا فقده من هذا الرصيد لسبب من الأسباب. وفي هذا رَوىٰ الطبيب والشاعر أحمد تيمور أن أستاذه أثناء دراسته للزمالة الأمريكية في أمراض الجهاز الهضمي، دأب علىٰ معاملته بحيادية أقرب إلىٰ الصرامة وأدنىٰ إلىٰ التعالي، ولكنه بعدما علم بخلفيته الشّعرية وشهرته في المحافل، بدا عطوفا تجاهه وراح يجامله بالقدوم إلىٰ مائدة طعامه واستنشاده لبعض القصيد..وهكذا أَسعفه الشّعر بما لم يسعفه الطبّ.

(١٥) ما أنا بشاعر

في تقديمه لإحدىٰ الندوات الأدبية التي شرفْت بالمشاركة فيها، أَجلسني مديرُ الندوة تحت خيمة النابغة الذبياني وخلع عليّ عباءة المتنبّي وأبي تمّام والبحتري، وذلك ضمن سرده لسيرتي الذاتية! مع أنني سبق ونبّهت فضيلته في البثّ التجريبي قبل الندوة بيوم، وأعلمتُه بأنني ما نظمْتُ قصيدة ولا طبعْتُ ديوانا، وليس لي في نظم الشِّعر قلامة ظفر أو ريشة طير، وحاشاي أن أتشبّع بما ليس فيّ، فـ"المتشبّع بما لم يُعطَ كلابس ثوبَي زور"[١]. وإنما أنا علىٰ دِين الأمير شكيب أرسلان، حين سأله إبراهيم المويلحي: أيهما أفضل عندك: النظْم أم النثر؟ فأجاب: لا مقايسة عندي بينهما، فأنا أفتخر بأن أكون كاتبا وأستحي من أن أكون شاعرا. رغم أن للأمير ديوانا مطبوعا به قصائد سامقة ذات أغراض عدّة، وفي شاعريته قال المنفلوطي: لو لم يكن كاتبا فريدا لكان شاعرا مجيدا.

---

(١) حديث شريف رواه الإمام البخاري في صحيحه

ولعلّها مناسبة مواتية لوضْع خط أحمر تحت ظاهرة سريان الألقاب الرنّانة بين الأدباء، وشيوعها كما لم تشيع بين فئة أخرى، هذا إذا استثنينا فئة الممثّلين وأهل الفنّ والرياضة.. فهذا أديب الأدباء، وذاك شاعر الشعراء، وثالث لم ينجب الأدب سواه. وهذا عميد الأدب، وذاك أمير الشعراء، وغيره شاعر الشباب، وسواه شاعر النيل، وفيهم شيخ الشعراء، وهكذا، حتىٰ أن الرجل منهم قد يغطّي لقبُه علىٰ اسمه فيذوب الاسم ويطفو اللقب! وأضرب مثلا لذلك بالشاعر السوري بدوي الجبل[1]، الذي اعتقدتُ لسنين طوال أنّ (بدوي) اسما وُلد به وخلعه عليه أبواه في شهادة الميلاد، قبل أن يتبيّن لي أنه مجرّد لقب كسح أمامه الاسم الحقيقي وهو محمد سليمان الأحمد.

وإلىٰ هذه الظاهرة أشار الأديب غسان كنفاني فقال: "وقد تجد مَن يكتب: الشاعر المبدع الأديب فلان! يحاول أن يحمّل اسمه يافطة جامعة يضع تحتها كل صفات إبداعية ممكنة! أعتقد أن الأديب المتمكّن من نفسه، والواثق في قدراته، شاعرا كان أو كاتبا أو روائيا، لا يحتاج أبدا

(١) تعود سبب هذا التسمية، إلى قصيدة أرسلها الشاعر إلى يوسف العيسى صاحب صحيفة ألف باء الدمشقية، وهو بعد في سنّ الرابعة عشرة، فنشرها العيسى وذيّلها بمسمّى (بدوي الجبل)، معللا ذلك بأنه اسم مجهول يثير فضول القارئ، ومبرّرا اختياره بأن جوّ القصيدة وقافيتها تعكس المجتمع البدوي والصحراء والجبل، وهو اللقب الذي أحبه الشاعر وتبنّاه وعُرف به طيلة حياته.

للتعريف عن نفسه بهذه الطريقة الفجّة". وإليها أيضا أشار شكيب أرسلان بقوله: "وما حفلْت في حياتي بشيء من هذه الألقاب ولا احْلولىٰ في صدري ما ينحلني الناس منها كأمير البيان وما أشبه ذلك، فالشاعر لقبه شعره والكاتب سمْته بيانه والإنسان حلْيته عمله".

والواقع أنّ الآراء في الأدب تتفاوت تبعا لتَفاوت الذوق والحسّ، وما أبعد البوْن بين أحاسيس المتلقّين وأذواقهم؛ فبينما ذمّ طه حسين شعر ناجي ووصفه بأنه نصف شاعر حتىٰ كاد الرجل يعتزل الشّعر ويطلّقه من فرط تأثّره، نجد غازي القصيبي فُتِن به وهام، وعبد المعطي حجازي شبّهه بشاعر المعلَّقات طرَفة بن العبد. وبينما نصّب جمع من الشعراء أحمد شوقي أميرا، نجد طه حسين ارتضىٰ عمر أبو ريشة للإمارة، وأبو ريشة ذاته خلعها علىٰ بشارة الخوري الملقّب بالأخطل الصغير، بينما ارتأىٰ آخرون أحقيّة صلاح عبد الصبور بالإمارة وعقدوا لذلك حفلا لولا أنه سكب فوق رؤوسهم دلو ماء بارد ولم يحضر..والأمثلة علىٰ اختلاف الآراء والأذواق بين الأدباء أكثر من أن تُحصىٰ.

وقد اجتهدتُ في تعليل ظاهرة الألقاب الأدبيّة هذه، وأرجعتُها ربّما لعادة تاريخية قديمة متأصّلة لدينا كعرب؛ فلا المتنبّي اسمه المتنبّي، ولا الفرزدق سمّاه أبوه الفرزدق، ولا المهلهل ولدته أمُّه مهلهلا، وقس علىٰ ذلك الكثير والكثير من الألقاب الذائعة الصيت.

وربّما لكوْن هؤلاء الأدباء سدنة بيانٍ يغريهم بالتفنّن في اختراع تلك الألقاب وزخرفتها علىٰ نحو قلّ مَن يجيده سواهم. أو لأنهم أرباب ذوق رفيع ومشاعر حسّاسة، فيراعونها فيما بينهم أشدّ المراعاة، ويربتون علىٰ أكتاف بعضهم البعض بهذه الألقاب. وربما لأنهم يخرجون من هذا الأدب الذي يفنون فيه أعمارهم صفر اليدين، فيعوّضون بتلك المسمّيات الفخمة البرّاقة شيئا ممّا يستحقونه..بمعنىٰ أن النية صافية والغاية نبيلة، وإن كانت الفتنة حاضرة، والعاقل مَن خشي الفتنة وعثارها وأغلق بالرتاج البابَ دونها.

وعلىٰ صعيد آخر، ربما تأخذ هذه الألقاب بُعدا تجاريا تسويقيا من قِبل دور النشر حين تروّج بها لعمل ما، وهي محاولة لا شك فاشلة إذا لم يكن لهذا اللقب رصيد أدبي كاف لملْأ عباءته وتثقيل موازينه.

مع التنويه بأن بعض الألقاب يستحقّها أصحابها، ولا ضير في الفرح بها والبناء عليها؛ فحبّ الثناء من طبائع الإنسان، والخمول أخو العدم، والشهرة أبو الكون، وكم من حكمةٍ لله في حبّ المَحمدة الحقّة. ولكن الضير يقع في ألقاب لا تؤسّسها أفعال، بل تأتي بطريق الباطل، وهي بعينها الوهم والخطر الداهم، وإليها أشار الشاعر الأندلسي بقوله:

ألقـــابُ مملكـــةٍ في غيـــر موضـــعها
كـــالهِرّ يحكـــي انتفاخًـــا صـــولةَ الأســـدِ

ولكي لا نجلد أنفسنا التي ليست بحاجة إلىٰ مزيد جلد، دعوني أشير إلىٰ أنّ ظاهرة الألقاب موجودة أيضا بين شعراء الغرب وأمريكا ولكن بصورة أقل حدّة وبهيئة مغايرة؛ ففي أمريكا تختار مكتبةُ الكونجرس ملِكا للشعراء الأمريكان كل عام، وتمنحه عشرات الألوف من الدولارات، وتكلّفه بالعمل علىٰ رفع وعي الناس بالشِّعر وتشجيعهم علىٰ قراءته وكتابته. الطريف أنّ لملِك الشعراء هذا أن يستقيل من منصبه، كما فعل الشاعر الصربي الأصل تشارلز سيميك متخلّيا بذلك عن مكتب لطيف في أكبر مكتبات العالَم المواجِهة لمبنىٰ الكابيتول الشهير، ومعلِّلا استقالته بأعباء كثيرة تُناط بالملِك، كالمقابلات والرسائل وأنشطة أخرىٰ عديدة.

ومع نفْي صفة الشاعر في حقّي نفيا مبرما، إلّا أنني أقرّ باقتراف ما يشبه الشّعر في أكثر من مناسبة وعلىٰ أكثر من صعيد؛ إذ كتبتُه بالعامية صبيًّا فيما يُسمّىٰ زجلا، عبّرتُ في طيّاته عن مفردات الحياة البسيطة من حولي وتأثيرها علىٰ مزاجي، ثم ما لبثْتُ أن تبت توبة نصوحة بعدما أدركتُ أن العامية ليست لغة للشّعر ولا واجهة للأدب.

وأذكر فيما بعد، أن القلم قد جرىٰ ببعض أبيات مكسورة يعاقِب عليها الخليلي بالحبس والجَلد، لولا أنها ذهبَت مع الريح بمجرّد كتابتها، ولم يطّلع عليها سوىٰ مَن قِيلت في حقّهم، وهم مِن ألصق المقرَّبين وأمناء السرّ والحواريّين.. من هذه الأبيات ما داعبتُ بها صديقا شاعرا، فقلت:

وإنّ الكـــــــــــذبَ أوّل مـــــــــــا بـــــــــــداه
شـــــــاعرٌ غـــــــرّه نظْـــــــمُ القـــــــصيد!

وفي موضع آخَر كتبْت:

يعيبـــون شِـــعري حـــين للـــدّمع يَجـــنح
وغـــدا يقولـــون: مِـــن بئرنـــا يَنـــزح؟!

وفي اللحظة التي أسطّر فيها ما تقرأونه، أسعفتْني الذاكرة بخربشات غزلية تقول:

بكفِّهـــا المخـــضَّب نحـــوي أشـــارت
مـــا لـــكَ يـــا فتـــىٰ هكـــذا نحلْـــت!
أ مجاعـــةٌ حلّـــت بـــك أم مرضْـــت؟
وبغـــــنجٍ ودلالٍ كالبـــــانِ مالـــــت
وصـــدَقَت حـــين بَـــسمَت وقالـــت:
أُم تُـــراك بلحْظـــي صُـــرِعْت؟
وبـــسهم كيوبيـــد أُصِـــبْت؟

ومع بدْء مشواري في الكتابة والنشر، نقّبتُ عن ثنائيّة الطب والأدب وسطّرت بابا ضمن كتابي (أطباء فوق العادة) الصادر عام ٢٠١٦ في طبعته الأولىٰ، بعنوان (الأطباء الأدباء)، وكان بين هؤلاء الأطباء الأدباء، شعراء كثُر حرثْتُ سيرتهم وطالعْتُ نذْرا غير يسير من دواوينهم.

ثمّ شاء القلم، ومشيئته قدَر نافذ، أن أُطايب نخبة من الأطباء العرب المبدعين في كتاب ثان ضمّ إحدىٰ وعشرين شخصية، بينهم ثلّة من مشاهير الشعراء، فكان لي معهم حوار حول الشّعر وقضاياه، وسجال عن الشّعراء وطقوسهم.

كما أن أدب المقامة الذي ضربْت فيه بسهم عبر (مقامات أبقراط)، أراها تحمل نفَسا شِعريا، ليس لِما تتضمنّه من شعر جرىٰ العرف في تذييل المقامة بأبيات تلائم موضوعها وتقوّي ساعدها، ولكن لِما تحفل به من سجع ينتمي بصلة قربىٰ إلىٰ قافية الشّعر وموسيقاه الخارجية، وهي موسيقىٰ تجعل المقامة –في رأيي– أقرب إلىٰ الشّعر من قصيدة النثر، وهذه القربىٰ بين المقامة والشّعر تنسجم تماما مع كتابة كليْهما من قِبل الطبيب والشاعر عبد السلام العجيلي، وتتماشىٰ مع ما عُرف عن الطبيب والشاعر وجيه البارودي من حفظه مقامات الحريري، لتؤسّس قاموسا بلاغيًّا ثريًّا يُسعفه بالتشبيهات والاستعارات والمجازات التي يشتاقها الشّعر وتزخر بها المقامة، وذلك علىٰ طريقة الشناقطة قديما وحديثا في حفظ المعلَّقات والقصائد الطوال، حتىٰ عُرفت موريتانيا ببلد المليون شاعر، حتىٰ قبل أن يبلغ عدد سكانها المليون!

وليس بخافٍ، انحيازي إلىٰ الشّعر العمودي الخليلي، وإلىٰ أغراض الحكمة والإصلاح الاجتماعي، ومعاني الزهد والورع، وروح الجمال والتفاؤل، وهو ما قد ترتسم معالمه ضمن اختيارات شعرية ضمّنتُها باب الكتاب الثاني، ولعلّها تلامس أوتاركم وتوافق ذائقتكم.

الباب الثاني :

مختارات شِعريّة

(١) أبو الثناء محمود بن عمر الحابولي[١]

متفرّقات

لا تكـــن نـــاظرًا إلـــى قائـــل القـــول،
بـــل انظـــر إليـــه مـــاذا يقـــول
وخُـــذ القـــول حـــين تلقيـــه معقـــولا،
ولـــو قالـــه غبـــيّ جهـــول
فنبـــاح الكـــلاب مـــع خـــسّة فيهـــا،
علـــى منـــزل الكـــريم دليـــل
وكـــذا النُّـــضَار[٢] معدنـــه الأرض،
ولكنـــه الخطيـــر الجليـــل
تَـــوقَّ الإمـــتلاءَ وعَـــدِّ عنـــه،

(١) يُعرف بسديد الدين ابن رقيقة (أو زقيقة) الشيباني، تولى رئاسة الأطباء في دمشق، وله ديوان شعر وعدد من المؤلفات، وتوفي عام ٦٣٥هـ

(٢) النضار: الخالص من كل شيء، ويقال ذهب نضار أي ذهب خالص

وإدخـــــالَ الطعـــــامِ علـــــىٰ الطعـــــامِ
وإكثـــــارَ الجمـــــاع فـــــإن فيـــــه،
لمَـــــن والاه داعيـــــةَ الـــــسَّقامِ
ولا تتحـــــرّكنّ عَقِيـــــب أكـــــلٍ،
وصـــــيِّر ذاك بعـــــد الإنهـــــضامِ
وخـــــلِّ الـــــسُّكْرَ واهجـــــره مليّـــــا،
فـــــإن الـــــسُّكْر مـــــن فعـــــل الطَّغـــــامِ[1]
وأحـــــسِن صـــــون نفـــــسك عـــــن هواهـــــا،
تفُـــــز بالخُلـــــدِ في دار الـــــسلامِ

(١) الطّغام: أوغاد الناس

(٢) الحكيم أبو الصلت[١]

متفرّقات

بهرتْه أهرامات مصر فقال فيها:

بعيْـــشكَ هـــل أَبـــصرْتَ أعجـــبَ منظـــرٍ،
علـــىٰ طـــول مـــا أَبـــصرْتَ مـــن هرمَـــي مـــصرَ.
أنافـــــا بأعنـــــان الـــــسماء وأشـــــرفا،
علـــىٰ الجـــوّ إشـــراف الـــسِّماك[٢] أو النّـــسرَ.

***

(١) هو الطبيب الشاعر أميّة بن عبد العزيز بن أبي الصلت (٤٦٠-٥٢٩هـ) يُكنّى بأبي الصلت، ويُلقَّب بالحكيم. وُلد في بلدة دانية شرق الأندلس، وارتحل إلى مصر فقضى بها زهاء عشرين عاما كانت عليه وبالا، ثم استقر في تونس وتُوفّي بالمهديّة جرّاء مرض الاستسقاء. برع في العلوم الطبيعية والرياضية والإلاهية، وترك مصنفات جمّة فيها. وفي الشعر يُعدّ من أعلام الشعر الأندلسي، وله ديوان مطبوع حافل بشعر الحكمة والزهد وبعض مدح ورثاء وغزل مع قليل هجاء.

(٢) نجم عملاق أضوء من الشمس وأكبر منها.

وهجا طالبَ علم لا يعطي الفهمَ حقّه، فقال:

وراغـــــــبٌ في العلـــــــوم مجتهـــــــدٌ،
لكنـــــــه في القبـــــــول جلمـــــــودُ.
فهـــــو كـــــذي عنّـــــة بـــــه شـــــبقٌ،
ومـــــشتهِي الأكـــــلَ وهـــــو ممعـــــودُ.

***

وفي أيّام مرضه أنشد قائلا:

حـــسْبي فقـــد بَعـــدَتْ في الغـــيّ أشـــواطي،
وطـــال في اللهـــو إيغـــالي وإفراطـــي.
أنفقْـــتُ في اللهـــو عمـــري غيـــر مـــتّعظ،
وجُـــدتُ فيـــه بـــوفري غيـــر محتـــاط.
فكيـــف أخلـــص مـــن بحـــر الـــذنوب وقـــد،
غرقـــتُ فيـــه علـــىٰ بُعـــد مـــن الـــشاطِي.
يـــا ربّ مـــا لـــي مـــا أرجـــو رضـــاك بـــه،
إلّا اعـــترافي بـــأنّي المـــذنبُ الخـــاطي.

***

ووصَف الموتَ بقوله:

أيّهـــا المُبتغِـــي مناصًـــا مـــن المـــوت،
رويـــــدًا فـــــلات حـــــين منـــــاصِ.
قهَـــر المـــوتُ كـــلَّ عِـــزٍّ وأَوْهـــى،
كـــلَّ حِـــرزٍ[1] وفـــضّ كـــلّ دِلاصِ[2].
لـــو حللْنـــا علـــى الـــذُّرى[3] في الـــصّياصي[4]،
مـــا طمعْنـــا مـــن الـــرّدى بخـــلاصِ.

***

ثمّ أوصى أن يُكتب على قبره بعد مماته:

سَـــكنْتُكِ يـــا دارَ الفنـــاء مـــصدِّقا،
بـــأنّي إلـــى دار البقـــاء أصـــيرُ.
وأعظـــم مـــا في الأمـــر أنّـــي صـــائرٌ،
إلـــى عـــادلٍ في الحُكـــم لـــيس يجـــورُ.
فيـــا ليـــت شِـــعري كيـــف ألقـــاه عنـــدها،

(١) المكان المنيع يُلجَأ إليه
(٢) كلّ ليّن لامع برّاق
(٣) القِمم
(٤) الحصون

وزادي قليـــــــل والـــــــذنوب كثيـــــــرُ.
فـــــإن أَكُ مَجزيّـــــا بـــــذنبي فـــــإنّني،
بحَـــــرٍّ عقـــــاب المـــــذنبين جـــــديرُ.
وإن يـــــكُ عفـــــوٌ منـــــه عنّـــــي ورحمـــــةٌ،
فـــــثَمّ نعـــــيمٌ دائـــــمٌ وســـــرورُ.

(٣) د. شبلي شميّل[(١)]

قصيدة (ليس لي في الشعر مطلب)

لـــــيس لــــــي في الــــــشعر مطلــــــب
إنّمــــــا لـــــــي فيـــــــه مــــــذهب
تــــــــارةً أَرغَـــــــــب في الـــــــنظمِ
وطـــــــــوْراً عنـــــــــه أرغـــــــــب
لَـــــــستُ بالـــــــشاعر لكـــــــن
عـــــلّ حكمـــــي فيـــــه أصـــــوب
هـــــــوَ للـــــــنّفسِ حيـــــــاةٌ
وَلكــــــرب الـــــــنفس مَـــــــسرب

---

(١) هو شبلي إبراهيم شميّل، طبيب وأديب وفيلسوف لبناني، يُلقّب بداروين العرب، وُلد بجنوب لبنان عام ١٨٥٣، فدرس الطب بلبنان وفرنسا، ثم استقر بمصر. جمع بين الطب والأدب والصحافة فأنشأ مجلتَي الشفاء والمقتطف الشهيرة. ترك مؤلفات عدة في الطب والأدب والفلسفة والترجمة، وبينها عشرات القصائد ورسائل شعرية متبادلة بينه وبين ميّ زيادة. تُوفي على أثر نوبة ربو شديدة، ودُفن بالقاهرة عام ١٩١٧.

وَهـــــــــو إمّـــــــــا رَقّ أَشـــــــــجَىٰ
وَإِذا مـــــــــا اِشـــــــــتدّ أَلْهَـــــــــب
وَهـــــــــو لِلـــــــــشكوىٰ مـــــــــن الظُّلـــــــــمِ
إذا ظلـــــــــمٌ تغلّـــــــــب
إِن يُـــــــــصِب منّـــــــــا قعيـــــــــداً
هـــــــــبّ كالجـــــــــسمِ المُكَهـــــــــرب
يَـــــــــصعق الظُـــــــــلّامَ حتّـــــــــىٰ
لَـــــــــيسَ لِلظُـــــــــلّام مَهـــــــــرَب
يَـــــــــصِفُ البـــــــــؤسَ وَيُـــــــــصمِي
مَـــــــــن لِـــــــــداءِ البـــــــــؤسِ ســـــــــبّب
فَـــــــــإِذا العـــــــــاتي بـــــــــه كـــــــــالش
شَـــــــــمعِ في نـــــــــارٍ وأَذوَب
يـــــــــصفُ الحـــــــــبّ وَيَرقـــــــــىٰ
ذروةَ الحـــــــــبّ المرتَّـــــــــب
وَهـــــــــو قَـــــــــد يَـــــــــسمو فَيخطـــــــــو
بَـــــــــينَ جَـــــــــوزاءَ ومنكِـــــــــب
مِـــــــــن حَفيـــــــــفِ الـــــــــشهبِ قَـــــــــد يـــــــــس
تَـــــــــرق الـــــــــسمع ويطـــــــــرَب

يَتَجلّـــــــــــــــى في ســـــــــــــماءٍ
تَخلـــــــــــبُ العَقــــــــــل فيُخلَـــــــــب
تَتــــــــــــــــصبّاهُ فَيَرغـــــــــــــــب
وَتعاصــــــــــــــيهِ فَيرهَـــــــــــــــب
إِن تحجّبهــــــــــــــا غيــــــــــــــومٌ
كَهُمـــــــــومِ الـــــــــنّفسِ تنــــــــشَب
مـــــــــــثقلاتٌ مثلهـــــــــــا يــــــــج
هـــــــدُها الحمـــــــــلُ فَتَتغـــــــــب
لاحَ فيهـــــــــا الـــــــبرقُ كــــــــالآ
مـــــــالِ في قلـــــــبِ الموصّـــــــب
فَهمَـــــــــــت بِـــــــــالقطرِ مِــــــــدرا
راً كَــــــــــدمعٍ يتــــــــــــسكّب
وَانجَلَـــــت عَـــــن صـــــفوِها فـــــاِب
تَـــــسَمَ الــــــروضُ وأَخـــــــصب
وَإِذا الـــــــشمسُ وَمـــــــا في الــــــش
شَـــــمسِ مِــــن مَعنـــــى محجّـــــب
تتجلّــــــــــى فـــــــــوق مـــــــــرجٍ
أَخــــــــــضرالوشيِ مُــــــــــذهّب

تَـــــــــستقي الأزهـــــــــــارُ منهـــــــــا
مـــــــــاءَ حُـــــــــسنٍ لـــــــــيسَ يَنـــــــضَب
وعليهــــــــــــــــــــا بــــــــــــــــــــرواءٍ
وَبريّـــــــــــــا تَتــــــــــــــــــسحّب
حبّـــــــــذا زهـــــــر الرّبـــــــىٰ مـــــــــن
كــــــــــلّ صـــــــــافٍ وَمخـــــــــــضّب
مثـــــــــــلَ فَجـــــــــــرٍ مـــــــــــستطيرٍ
أَو كَـــــــــــأُفقٍ قَـــــــــد تلهّـــــــــــب
يَتَهـــــــــــــــــادىٰ في نـــــــــــــــسيمٍ
كَتَهـــــــــــادي الطفـــــــــــلِ يَلعـــــــــب
وَالنــــــــــدىٰ مِـــــــــن فَوقـــــــــهِ حـــــــــي
رانَ كالـــــــــــــدمعِ تَـــــــــــــصعّب
قلــــــــــقٌ ممّــــــــــا يعــــــــــاني
قلـــــــــقَ القلـــــــــبِ المعــــــــــذّب
حبّـــــــذا قَطـــــــر النـــــــدىٰ مـــــــن
فَـــــــــوقِ زَهـــــــــرٍ يَتـــــــــصبّب
كَحبـــــــــاب نـــــــــوره مـــــــــن
كأسِـــــــــهِ أَطلـــــــــعَ كَوكَـــــــــب

أَو كَموشـــــــورٍ شـــــــعاعُ الـــــــش
شـــــــمس فيـــــــه يتـــــــشذّب
أَو كَقـــــــوس الـــــــسحبِ ترمـــــــي
كَبـــــــد الجـــــــوّ فَيُخـــــــضب
تَنـــــــدف النـــــــور وتـــــــذرو
قطنـــــــه نـــــــسلاً مكوكـــــــب
يـــــــا لقـــــــوسٍ قَـــــــد نراهـــــــا
قـــــــابَ قَوســـــــين وأَقـــــــرَب
كَـــــــسرابٍ وردهُ أَب
عَـــــــد مِـــــــن عنقـــــــاء مغـــــــرب
أَو كَعقـــــــدٍ في نظـــــــامِ الـــــــن
نـــــــور كـــــــالجزعِ المثقّـــــــب
يَخـــــــدعُ العَـــــــين بعـــــــينٍ
وَهـــــــيَ مثـــــــل الـــــــبرق خلّـــــــب
درّة في تاجـــــــه ذا
هبّـــــــة والتـــــــاج يـــــــذهَب
دولـــــــة الأزهـــــــار ماعـــــــا
شَـــــــت فَـــــــصبحٌ ثـــــــمّ مغـــــــرب

حـــــــاديَ العـــــــيسِ كَمـــــــا في
عَهـــــــدِ قـــــــيسٍ والمهلّـــــــب
تَتغنّـــــــىٰ بِـــــــسليمىٰ
وعلـــــــىٰ الأطـــــــلال تنحـــــــب
تتبـــــــاهىٰ بعظـــــــامٍ
لـــــــيس فيهـــــــا اليـــــــوم مـــــــسحب
تتلهّـــــــىٰ بعلـــــــومٍ
تَئـــــــدُ العقـــــــل فيـــــــشحب
مـــــــا رَكبـــــــتَ القـــــــاطرات ال
جائبـــــــات الأَرض تَنهـــــــب
مـــــــا رأيـــــــتَ الـــــــسابحات ال
جـــــــاعلات الـــــــريح مركـــــــب
مـــــــا قـــــــصدتَ العـــــــامرات ال
ممرعـــــــات الجـــــــدب تخـــــــضب
مـــــــا علـــــــوتَ الراســـــــيات ال
راميـــــــات الجهـــــــل تحـــــــصب
مـــــــدنيات الزهـــــــر ترقـــــــب
ســـــــابرات الغـــــــور تنقـــــــب

تتغنّـــــــــــــــــىٰ بعمـــــــــــــــــارٍ

يفـــــــــــتن اللـــــــــــبّ وَيـــــــــــسلب

وَتـــــــــــــــــــــراه في ديـــــــــــــــارٍ

تَتحـــــــــــــــــــدّاها وَتـــــــــــــــــدأب

تَـــــــــضربُ الـــــــــوهمَ بـــــــــسيفٍ ال

حـــــــــــقّ إنّ الحـــــــــــقّ أَغلـــــــــــب

يـــــا لـــــوهمٍ كَـــــم لَـــــه في الـــــن

نَفـــــــــسِ أَعـــــــــراقٌ تـــــــــشعّب

كلّمـــــــــــا قلّمـــــــــــت منـــــــــــه

مِخلبـــــــــــاً أَنـــــــــــشَب مِخلـــــــــــب

وَبمـــــــــــاءِ الجهـــــــــــلِ يُـــــــــــسقىٰ

وبنـــــــــار الخلـــــــــف يثقـــــــــب

أيـــــن هـــــــذا العلـــــــم ينـــــــضو

ســـــــيفه العَـــــــضب المـــــــشطّب

يخـــــــذلُ الجهـــــــل ويخـــــــزي

أَهلـــــــه مِـــــــن كـــــــلّ مـــــــشرب

بـــــــئسَ علـــــــمٌ نَـــــــصبوه

في حِمانـــــــا خيـــــــر منـــــــصَب

وَهـــــو لَـــــو تَـــــدري لَديـــــه
يُحمـــــد الجهـــــلُ المجـــــرّب
لَـــــيس كـــــلّ العلـــــم علمـــــاً
إِنَّمـــــا العلـــــم المجـــــرّب
وَهـــــو قـــــلّ في قـــــديمٍ
كالرّقـــــاع الثـــــوبَ تَـــــرأَب
وَمـــــصاب النـــــاسِ حتّـــــىٰ ال
يـــــوم مِـــــن هَـــــذا التذبـــــذب
عـــــاذِلي عُـــــذركَ بـــــادٍ
فيـــــك مـــــن مـــــاضٍ تـــــسرّب
إِن تُخطّئنـــــي فَهـــــذا
أَو تُـــــسئ فَهمـــــي فأعجـــــب
فيـــــكَ حـــــسبي لـــــو ولكـــــن
ريثمـــــا قـــــوليَ يَلـــــزب
شـــــاعر الزّلفـــــىٰ أَضـــــعت الـــــشِّ
شـــــعر في زيـــــدٍ وزينـــــب
تَقـــــفُ العمـــــر كـــــأنّ الـــــش
شِـــــعر مـــــدحٌ وتـــــشبّب

وَجبـــــــــــينٌ في تـــــــــــــرابٍ
وَفـــــــــــؤادٌ في تلهّـــــــــــــب
وَمقـــــــــالُ حـــــــــسنهُ مـــــــــا
كـــــان فيــــــهِ القــــــول أَغـــرب
بِئـــــــسَما الــــــشّعرُ غـــــــدا أع
ذَبــــــهُ مــــــا كــــــانَ أَكـــــذب
مــــا تـــــرىٰ الجهـــــل ومـــــا نـــــل
قـــــىٰ مـــــنَ الجهـــــلِ المركّـــــب
مــــــا تـــــرىٰ الظلــــــمَ وفينـــــا
دولُ الظلــــــــــمِ تقلّـــــــــــب
مـــــا تـــــرىٰ في مـــــا تـــــرىٰ كـــــم
صـــــاحب البـــــؤسِ يُعـــــذَّب
مــــــا تـــــرىٰ في مــــــا حـــــوالي
ك مـــــــنَ الحـــــــسنِ المحبّـــــب
دولـــــــــةٌ دالَـــــــت فَقـــــــم في
دَولـــــــةِ الــــــشعرِ المهـــــذَّب

(٤) د. نقولا فيّاض [١]

قصيدة (زيارة مِن غير موعد)

مرحبًا بالشتاء إن كان غيري
لا يرىٰ في الشتاء إلّا حِدادا
مرحبًا بالشتاء والقلب خال
أعبد[٢] النار في سكون الليالي
مستريحًا من الهوىٰ وهمومهْ
هذه عزلتي فنَم يا فؤادي

---

(١) طبيب وشاعر وخطيب ومترجِم وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق، وُلد عام ١٨٧٣ لأسرة لبنانية تهوى الأدب والفنّ، درس الطب في بيروت وتخصص في فرنسا وقضى نحو عشرين عاما في مصر، ثمّ تُوفي في لبنان عام ١٩٥٨ وترك عدّة مؤلفات بينها ديوان (رفيف الأقحوان) وديوان (بعد الأصيل) اللذان يدوران في فلك الشعر الرومانسي وشعر المناسبات.

(٢) طبعا لا يقصد عبادة النار المجوسية ولكن يقصد ملازمتها والركون إليها، وكم في أقوال الشعراء من شطحات.

لـــــيس مـــــن زينـــــبٍ هنـــــا أو ســـــعادِ
وإلـــــىٰ الطُّـــــرْس يـــــا يـــــراعُ فعنـــــدي
في زوايـــــا الفكـــــر العميـــــقِ معـــــانِ
آن أن يطلَـــــع النهـــــارُ عليهـــــا
قلـــــت هـــــذا ومـــــا حـــــسبْت حـــــسابا
للّـــــذي خبّـــــأَتْ يـــــدُ الأقـــــدارِ
قُـــــرع البـــــابُ مَـــــن تُـــــرىٰ يَقـــــرع
البـــــا بَ وليـــــست بـــــساعةِ الـــــزُّوّارِ
ودبيـــــبُ النعـــــاسِ في الأجفـــــانِ؟
قـــــال لـــــي افـــــتح، أنـــــا هـــــو الحُـــــبّ قلـــــت
اذهـــــب، فمـــــا لـــــي بالحـــــبّ يـــــا حـــــبُّ شـــــانُ
قـــــال بـــــردُ الـــــشتاء يقـــــرُص عظمـــــي
ودمـــــوعُ الـــــسماء تمطـــــر جـــــسمي
وجنـــــاحي مهـــــدَّمٌ مكـــــسور
عبثًـــــا تطلـــــب الـــــدخولَ فنفـــــسي
أيّهـــــا الحـــــبّ قـــــد ســـــلتْك طـــــويلا
نـــــسيَتْ عـــــادة الـــــصبابة والـــــشكوىٰ
وذِكـــــر العهـــــودِ والتقبـــــيلا

نـــــسيَتْ فعـــــلَ قوسِـــــك المرهـــــوبِ
قـــــال مـــــا لـــــي في غيـــــر نـــــارك مطمـــــع
فـــــافتح البـــــابَ لا يفيـــــدُ الجـــــدالُ
افـــــتح البـــــاب إنّ قلبـــــي تَقطَّـــــع
وإذا مـــــتُّ عنـــــد بابـــــك قـــــالوا
عـــــن دمـــــي أنـــــت وحـــــدك المـــــسئول
هكـــــذا كـــــان يـــــستغيث ويبكـــــي
ولهـــــوَج الرّيـــــاحِ عـــــصفٌ شـــــديدُ
رقّ قلبـــــي لـــــه فقلـــــت ألا ادخـــــل
أيّهـــــا الحـــــبّ ولـــــيكن مـــــا تريـــــد
ورجـــــائي أن لا تُطيـــــلَ المُقامـــــا
دخـــــل الحـــــبُّ مـــــسرعا نحـــــو نـــــاري
ثـــــمّ حَيّـــــا وثغـــــرُه يبتـــــسم
ومـــــضىٰ بالحـــــديثِ غيـــــرَ خجـــــولٍ
يتبـــــاهىٰ بغُـــــرّةٍ وحُجـــــولِ
وبمـــــا نـــــال مـــــن دمـــــوع ومـــــن دمْ
عَمْـــــرَك اللهُ هـــــل رأيـــــتَ كـــــشَعري
أشـــــقر اللـــــون صـــــافيًا كالـــــشعاع

أو كخـــــــدّي الأســـــــيلِ أو كلحـــــــاظي
حـــــين أرمـــــي بهـــــا الفـــــؤادَ الخليّـــــا
عَمْـــــرَك اللهُ هـــــل تفرّســـــتَ فيَّـــــا
قُـــــضي الأمـــــر بيننـــــا، وبـــــداري
أصـــــبح الحـــــبُّ حاكمـــــا مـــــا شـــــاءَ
أَقفـــــلَ البـــــابَ آمنًـــــا في جـــــواري
ناســـــيًا أن يعـــــود مـــــن حيـــــث جـــــاءَ
وأنـــــا..قـــــد نـــــسيتُ فـــــتحَ البـــــابِ

(٥) د. شاكر الخوري[١]

متفرّقات

في تعبير ساخر عن حالة الشاعر بين أناس رضاؤهم غاية لا تُدرَك، يقول:

لا بــدّ للــشّعر خــصمٌ إن كــان مــدحًا أو ذمّــا
إذا مــدحْتَ فلانــا فخــصمه صــار خــصما
إذا هجــوتَ عــدوًّا عليــك قــد بــات يُحمــىٰ
إذا تغزّلْــتَ يومــا قــالوا تهتّكــتَ رغمــا
قــالوا جُننــتَ ســريعا إذا تحمّــسْت لَمّــا[٢]

---

(١) هو شاكر بن يوسف الخوري، طبيب وشاعر لبناني ينتمي لأسرة أدبية، وُلد في قرية بكاسين جنوبي لبنان عام ١٨٧٤، ودرس الطبّ في مصر، ثم تخصص في طب العيون ومارسه ببيروت إلى أن وافته المنية عام ١٩١٣. شعره ساخر يُراوح فيه بين المدح والهجاء ويتحيّن له المناسبات. ترك مؤلَّفات في الطب والأدب.

(٢) شيئا قليلا يسيرا

إذا افتخرتَ بأصلٍ قالوا تكبّرتَ ظُلما
يُقال عنك كذوبٌ إن قلتَ أعمىٰ لأعمىٰ
دع عنك شعرًا وانزع من قلبك اليوم همّا
واصبر علىٰ كلّ عيبٍ وكن بليدًا أَصمّا

***

وهجا شخصًا جمّاعةً للكُتب اسمه فريد فقال:

قالوا فريدٌ من حديثٍ قد بدا،
في جمع مكتبةٍ تعي الأشعارا.
فأجبْتهم هذا افتراءٌ بل له،
عشرين عامًا يحمل الأسفارا.

***

وخاطب ضرسا تالفا خُلع من فم محبوبته، فقال:

قد نلتَ يا ضرسُ من ثغر الحبيب مِنّي
ما لم تنلْه ملوكٌ في عروشهمِ
عشرون عاما بعدنٍ كنتَ منغرسا
تمصّ شهْدًا وخمرًا مِن أعزّ فمِ
مَن كان في جنّةٍ هل يعتريه ضنَىٰ

مـــا بالـــكَ اليـــومَ تـــشكو شـــدّة الـــسقمِ
أجـــابني الـــضرسُ إنّـــي لـــم أَذُق عـــسلا
مـــع أنّنـــي فيـــه مغمـــور إلـــىٰ القـــدمِ
لأنّ خِلّـــي بخيـــلٌ لـــم يُـــبِح أبـــدا
يُريـــه خمـــرًا وشـــهدًا دون طعمهـــمِ
فنـــارُ شـــوقي لـــذا قـــد أحرقَـــت كبـــدي
فـــذاب قلبـــي بـــه مـــن شـــدّة الألـــمِ
وعنـــدما قـــد رأي أنّـــي بـــلا كبـــدٍ
ولا فـــؤادٍ وقـــد أصـــبحْتُ كالعـــدمِ
أخرَجـــوني مـــن الفـــردوس دون أذىٰ
كـــأنني آدم أفتـــوا بـــسفك دمِـــي
فهكـــذا كـــلّ مَـــن يهـــوَىٰ المِـــلاح غـــدا
محـــروقُ قلـــبٍ ويُرمـــىٰ بعـــد حُـــبّهمِ

(٦) د. سلمان الحاتم[١]

قصيدة (القوافي تليق بي)

وطالعْـــتُ ديـــواني مـــساءً وقـــد بـــدا،
لعينـــيَّ منـــه لؤلـــؤٌ وعقيـــقُ.
فلـــن أنثنـــي عـــن نظـــم شِـــعري لأنّنـــي،
ســـكرتُ بأشـــعاري ولـــستُ أفيـــقُ.
تعـــوّدْتُ نظـــمَ الـــشعر منـــذ حـــداثتي،
فمـــا لـــي ســـواه صـــاحبٌ وصـــديقُ.
فـــلا أخـــشىٰ أمـــواجَ البحـــور وهوْلهـــا،
لأنّـــيَ في تلـــك البحـــور غريـــقُ.
ذرفـــتُ لهـــا مـــاءَ العيـــونِ بِرِقّـــةٍ،
وإنّـــي لهـــا مـــاءَ الفـــؤادِ أريـــقُ.
تليـــق القـــوافي بـــي لأني أصـــوغها،

(١) هو سلمان بن سليمان موسى الحاتم، طبيب وشاعر سوري، وُلد في محافظة درعا عام ١٨٨٩، درس الطب في بيروت، ومارسه في لبنان والعراق وسورية التي قضى نحبه بها عام ١٩٦٩. ترك في الشّعر ديوانيْن: (براعم الصبا) و (نهاية المطاف).

كـــــدُرٍّ وليـــــستْ بـــــالجَهول تليـــــقُ.

***

ومن قصيدة (عيد الجلاء):

بـــــرا الخـــــالقُ الإنـــــسانَ حُـــــرّاً وزانـــــه،
علـــىٰ الحيـــوانِ الأعجـــمِ النطـــقُ والعقـــلُ.
فـــــسنَّ نظامًـــــا للحيـــــاة بوحْيـــــهِ،
بموجبـــــه قـــــد حُـــــرِّمَ الـــــسلبُ والقتـــــلُ.
ولكنـــــه تاقـــــتْ إلـــــىٰ الـــــسوءِ نفـــــسُه،
وخـــــالفَ شـــــرعَ اللهِ إذْ كثُـــــر النـــــسلُ.
وقـــــامَ بنـــــو الإنـــــسانِ بعـــــضٌ بقـــــوّةٍ،
علـــــىٰ بعـــــضهم يغـــــزو الـــــبلادَ ويحتـــــلُّ.
وســـــادَ بحـــــدِّ الـــــسيف واســـــتُعبدتْ لـــــه،
ضـــعافُ الـــورىٰ مـــن بعـــد أن شُـــتِّتَ الـــشَّملُ.
وفـــــازت علـــــىٰ حريّـــــة الـــــرأي قـــــوّةٌ،
مخالبُهـــــا البتّـــــارُ والـــــرمح والنَّبـــــلُ.
وعاثـــــت فـــــسادًا أينمـــــا حـــــلَّ ركْبُهـــــا،
وحـــــلّ فـــــسادُ الخُلُـــــقِ والخـــــسفُ والـــــذلُّ.

وعـــمَّ الأذى في الأرض والغـــدرُ والخَنَـــى[1]،
وسـفكُ الـدِّما والـسلبُ والكِـذْبُ والخَتْـل[2].
فـــذا نَمِـــرٌ يـــسطو وذلـــك ثعلـــبٌ،
يـــصيد وذا ذئـــبٌ يـــصولُ وذا صِـــلّ.

(١) الفُحش
(٢) الخداع

(٧) د. إبراهيم ناجي[١]

متفرّقات

كـــلٌّ لـــه ليلـــىٰ ومَـــن لـــم يَلقهـــا،
فحياتـــه عبـــثٌ ومحـــضُ هبـــاء.
كـــلٌّ لـــه ليلـــىٰ يـــرىٰ في حبّهـــا،
ســـرَّ الـــدُّنىٰ وحقيقـــةَ الأشـــياء.

***

اُكْتـــب لوجـــه الفـــنِّ لا تَعـــدِل بـــه،
عـــرَض الحيـــاةِ ولا الحطـــام الفـــاني.

(١) هو إبراهيم ناجي بن أحمد ناجي بن إبراهيم القصبجي، من أعلام الشعر العربي الحديث وروّاد الاتجاه الوجداني الرومانسي. وُلد بالقاهرة عام ١٨٩٨، ونشأ وشبّ وشاب فيها. تخرّج في كلية الطب عام ١٩٢٢، وثابر في الجمع بين الطب والشعر حتى آخر نفَس جاد به في عام ١٩٥٣. كان أحد أعمدة مدرسة أبوللو الشعرية التجديدية، وترك أربعة دواوين، إضافة إلى مؤلَّفات في القصة والترجمة والنثر الفني، وقد ترجمْتُ له في كتابي (أطباء فوق العادة).

واستلْهم الأمَّ الطبيعةَ وحدَها،
كم في الطبيعة من سَريٍّ معانِ.
الشّعرُ مملكةٌ وأنت أميرها،
ما حاجة الشعراء للتيجان.
(هومير)[١] أمّره الزمانُ لنفسه،
وقضَت له الأجيالُ بالسلطان.

***

عشتُ وامتدّتْ حياتي لأرىٰ،
في الثرَىٰ مَن قَبْلًا في القممْ.
انهيارُ المُثُلِ العليا وإن
كارُ آلاءٍ وكفرٌ بالقيم.
مَن يكن عضّ بنانًا نادمًا
فأنا قطّعتُ إبهام الندمْ
وإذا انحطّ زمانٌ لم تجدْ
عاليًا ذا رفعةٍ إلّا الألمْ

***

(١) يقصد صاحب الإلياذة والأوديسة، الشاعر الملحمي الإغريقي الأسطوري هوميروس

ضِـــــــحكةٌ ســـــــاخرةٌ هازلـــــــة،
وخيـــــالٌ تافـــــهٌ هـــــذي الحيـــــاهْ.
هـــــذه الأكذوبـــــة الكـــــبرىٰ التـــــي،
خُـــــدع النـــــاس بهـــــا وا أســـــفاهْ!
ذَلّ فيهـــــا المـــــالُ والجـــــاهُ إلـــــىٰ،
أن غـــــدا أحقرَهـــــا مـــــالٌ وجـــــاهْ.
نحمـــــد الله علـــــىٰ أنّـــــا بهـــــا،
لـــــم نَـــــصُن مـــــن ذِلّـــــةٍ إلّا الجبـــــاهْ.

(٨) د. وجيه البارودي[١]

قصيدة "قالت غدا"

قالـــــــــت غـــــــــداً و في غـــــــــد،
جئـــــــــتُ فقالـــــــــت للغـــــــــدِ.
و مـــــــا غـــــــد مـــــــن أمـــــــسه،
أو غـــــــــــــده بأســـــــــــــعدِ.
و هكـــــــــذا مـــــــــن موعـــــــــدٍ،
لموعـــــــــــــدٍ لموعـــــــــــــدِ.
إن قلـــــــــتُ لـــــــــن أعـــــــــود،
قـــــــال القلـــــــب ويْـــــــك اتّئِـــــــدِ.
عُـــــــد كـــــــلّ يـــــــومٍ ضـــــــارعاً،

(١) هو وجيه بن عبد الحسيب بن أحمد البارودي، طبيب وشاعر سوري، يُلقَّب بسيّد العشّاق. وُلد بمدينة حماة عام ١٩٠٦، ودرس في بيروت حتى تخرّج طبيبا، ثم عاد إلى حماة وبدأ مشوارا طبيّا في عيادته الخاصة استمر لثلاثة وستين عاما انتهى بالوفاة عام ١٩٩٦. ترك أربعة دواوين، كثر فيها الغزل والإصلاح الاجتماعي والطرفة، وكانت ترجمانا صديقا لحياته الحافلة.

مـــــــــــــستعطفًا لا تزهــــــــــــدِ.

وارجـــــــع كمـــــا شـــــاء الهـــــوىٰ،

معــــــــــــذَّبًا صــــــــــــفرِ اليـــــــــدِ.

ألــــــــــــيس كـــــــــــلّ عــــــــــودة،

لونــــــــــــا مــــــــــــن التــــــــــودّدِ.

تجــــــــــــدّد العهــــــــــــد وهــــــــــل،

أحلــــــــــــىٰ مــــــــــن التجــــــــــدُّدِ.

في جلــــــــــــــسةٍ قــــــــــــصيرةٍ..،

عِـــــــش في مــــــداها و اســــــعدِ.

في الـــــــــــــرّوح و الريحـــــــــــان،

في أبهـــــــىٰ مـــــن الــــــورد النـــــديّ

عــــــــــد للّقـــــــــاء في غــــــــــدِ.

أحـــــــــرّ أشـــــــــواقًا عُــــــــــد،

عُــــــــد عاشـــــــقًا مـــــــدلهًا

مؤرجَحـــــــــــــــا للأبـــــــــــــدِ.

***

وفي قصيدة ثانية، يحني أبو الفداء (وجيه البارودي) رأسه تواضعا لشعراء قدامىٰ ومحدَثين تعلّم الشعر علىٰ أيديهم..فيقول:

أنـــا الـــذي في أعـــالي الخُلـــد مدرســـتي،
ولـــــي أســـــاتيذُ أعـــــلامٌ تثقّفنـــــي.
أبـــو نـــواس الـــذي بـــالروح هـــذّبني،
أبـــو العـــلاء الـــذي بـــالفكر زوّدني.
كـــــذلك المتنبّـــــي في روائعـــــه،
لـــولاه مـــا اهتـــدت الفـــصحىٰ إلـــىٰ أذني.
وصـــبغة مـــن كتـــاب الله تـــصبغني،
وبالعروبـــــة والإيمـــــان تطبعنـــــي.
وكـــم تنادمْـــت والخيـــام مغتنمـــا،
لونًـــا مـــن الـــشّعر قبـــل الكـــأس أســـكرني.
ولـــي مـــن العـــصر أنـــدادٌ عمالقـــة،
مـــنهم نـــزار الـــذي أعطـــىٰ فأدهـــشني.
ومـــنهم القـــرويّ الفـــذّ والبـــدوي،
إذا تغنّـــىٰ إلـــىٰ الجـــوزاء يرفعنـــي.
وللحريـــري كاريكـــاتور في صـــور،

مـــــن الفكاهـــــة والمأســـــاة تـــــسحرني.

هـــــذا أنـــــا بـــــين أفـــــذاذٍ عمالقـــــة،

وبـــــين محفـــــلِ أنـــــدادٍ يُكرّمنـــــي.

(٩) د. ميّ حنّا سعادة[١]

قصيدة (العودة الصامتة)

قـــالوا يعـــود أبـــو (مـــيٍّ) فيـــا طربـــي
أنلتقـــي؟ وأراه اليـــوم عـــن كثَـــبِ؟
حلـــم، تـــرى هـــل يـــصحّ الحلـــمُ يـــا أبتـــي؟
أم ذاك نـــوعٌ مـــن التمويـــه والكـــذبِ؟
وهـــل يعـــود إلـــى (أَمْيـــون) شـــاعرُها؟
قاموســـي الحـــيّ يُغنينـــي عـــن الكتـــب
أعـــبُّ مـــا شـــئتُ مـــن شِـــعر ومـــن لغـــة
تجـــري علـــى ثغـــر ينبـــوعٍ مـــن الأدبِ!
رُبِّيـــتُ في حـــضنه، والنـــاس تحـــسُدني

(١) طبيبة وشاعرة وسياسية، وُلدت عام ١٩١٦ في مدينة أميون شمالي لبنان، درست الطبّ في الجامعة الأمريكية ببيروت، وتخرّجت كأوّل طبيبة لبنانية بها، ثم تخصّصت في طب وجراحة النساء والتوليد، وعملت بعيادتها الخاصة في طرابلس، وامتدّ بها العمر لمائة عام إذ تُوفيت عام ٢٠١٦. أثْرت المكتبة العربية بديوانيْن هما (أوراق العمر) و (لست وحدي).

أتيـــــه بـــــالغنج في أثـــــوابيَ القـــــشبِ!
فمـــــا التقينـــــا معـــــًا، إلّا وأغرقنـــــا
بحـــــر الهنـــــاء بموجـــــات مـــــن الطـــــربِ
يـــــا فرحتـــــي! كيـــــف ألقـــــاه وألثمـــــه؟
أضـــــــمّه لفـــــــؤادٍ فيّ ملتهـــــــبِ!
رغـــــم البعـــــاد، ورغـــــم الهجْـــــر يـــــا أبتـــــي
تحتـــــلّ في القلـــــب حقّـــــًا أرفـــــع الرتـــــب
أســـــــتغفر الـــــــزوجَ والأولادَ كلّهـــــــم
في قلـــــب (مَيِّـــــك) يـــــأتي الكـــــلّ بعـــــد أبـــــي!
هيّـــــا لمكتبتـــــي، ســـــيروا علـــــىٰ عجـــــل
ومزّقـــــوا مـــــا عليـــــه الآن مـــــن حُجـــــب!
يـــــا خيبـــــة الأمـــــل الزاهـــــي ببهجتـــــه
نـــــسيت (ميّـــــا)؟ فيـــــا ويلـــــي ويـــــا عتبِـــــي!
فمـــــا أَحَـــــسَّ بـــــأنّي كنـــــتُ ماثلـــــةً
ومـــــا تحـــــرّك لـــــم يَفـــــرح ولـــــم يَثِـــــبِ
ولـــــم يعـــــانق فتـــــاةً كـــــان يعبـــــدها
قُـــدُمًا، ولـــم يبتـــسم، ويُحـــيّ، ولـــم يُجِـــبِ!
لِـــمْ لَـــمْ تعـــد ناطقـــًا حيّـــًا أيـــا أبتـــي؟
كمـــــا عرفتُـــــك فينـــــا أفـــــصح العـــــرب

هـــل أنـــت حقّـــاً أبـــي؟ كـــلّا فلـــست أبـــي
حتـــىٰ ولـــو كنـــتَ تمثـــالاً مـــن الـــذهب!
أبـــي حنـــينٌ، أبـــي شـــوقٌ، أبـــي خُلـــقٌ
أبـــي رجـــاءٌ، أبـــي جُـــودٌ بـــلا طلـــب!
أبـــي نـــسيمٌ عليـــلٌ في المـــساء أتـــىٰ
في يـــومِ حَـــرٍّ مـــن الأيـــام مـــضطرب
أبـــي حـــديثٌ، حـــلال ســـحره، عبـــق
يمحـــو عـــن القلـــب كـــلَّ الهـــمّ والكَـــرْبِ
أبـــي أشـــعّةُ إيمـــانٍ قـــد انطلقـــت
في الكـــون مثـــل شـــعاع الأنجـــم الـــشهب!
مِـــن أيـــن لـــي شِـــعره حتـــىٰ أصـــوّره
كمـــا أراه، فيـــا عجـــزي، ويـــا تعبـــي!
هـــو المعلّـــم في خلْـــق الرجـــال ســـما
حتـــىٰ ولـــو عُـــودهم قـــد كـــان مـــن خـــشب
لـــم تـــنس بـــيضَ أياديـــه تلامـــذةٌ
هـــمُ تماثيلـــه الأحيـــاء للحقَـــبِ
لـــو تُـــشترَىٰ الـــروحُ، مـــا أبقيـــتُ لـــي ذهبـــاً
وبِعـــتُ طبّـــي وشِـــعري كـــي تعـــود، أبـــي!

(١٠) د. عمر الجارم[١]

قصيدة (الهوى القديم)

قـــد عَـــادَه الطيـــفُ القـــديم يـــؤرِّقُ
لمّـــا خطـــرتِ فعـــاد منـــه تَعَلُّـــقُ
فاجأتِـــهِ بزيـــارة .. مـــا خالهـــا
يومـــاً مـــن الأيـــام قـــد تتحقَّـــق
مـــن بعـــد مـــا مـــرّت ســـنون مالهـــا
عـــدد، وطـــال تباعـــد وتفـــرُّق
ومـــشيتِ في درب، وســـار بغيـــره
وكلاهمـــا صـــوب التلاقـــي مغلَـــق

(١) هو عمر عبد المحسن الجارم، طبيب وشاعر مصري، ولد بمدينة رشيد محافظة الاسكندرية عام ١٩١٩. درس الطب في الاسكندرية، وتخصص في لندن، وتولى رئاسة قسم الأمراض العصبية والنفسية بكلية الطب جامعة الاسكندرية. ، تأثر بصحبة عمه الشاعر علي الجارم، وله ديوان بعنوان (الشعر الواضح)، ويعد من الأعضاء المؤسسين لاتحاد كتاب مصر الذي انتمى إليه حتى قضى نحبه عام ١٩٩٥.

في لحظـــــة لاقـــــت لحاظُـــــك عينَـــــه
طُـــــويَ الزمـــــان، كـــــأنَّ برقـــــاً يـــــبرق
ورآكِ ناضـــــرةً كعهـــــدك، يـــــا لـــــه
عهـــــدًا لـــــه بـــــين الخـــــواطر رونـــــق
العـــــود ينمـــــي في الريـــــاض لبانـــــة
والفـــــرع أصـــــل فيـــــه الإســـــتبرق
وبـــــكِ الغزالـــــة[1] إذ خـــــدودك قُرصـــــها
قبـــــل الغـــــروب، وفي الجبـــــين المـــــشرق
والـــــروح لـــــو قـــــيس النـــــسيم بظلهـــــا
قلنـــــا : هـــــو الـــــشيء الثقيـــــل المرهـــــق
وحكـــــىٰ لـــــك الـــــشوق القـــــديم بنظـــــرة
والعـــــين أبلـــــغ مـــــن لـــــسان ينطـــــق
منهـــــا شـــــعاع لـــــيس يخـــــدع ضـــــوؤه
ومـــــن الكـــــلام تحايُـــــل وتملُّـــــق
هـــــل مـــــن يـــــدق القلـــــب عنـــــد نفـــــاذه
مثـــــل الـــــذي في طبـــــل أذنـــــك يطـــــرق؟
صـــــافحته، فأطـــــال قبـــــضة كفـــــه

(١) الغزالة: الشمس

لـــــولا الحيـــــاء لظـــــل دهـــــراً يطبـــــق
لاقـــــىٰ براحتـــــك الكريمـــــة راحـــــة
إذ جـــــسّ إحـــــساسًا بهـــــا يتـــــدفق
قـــــد مـــــر مثـــــل الكهربـــــاء وإنمـــــا
مـــــن غيـــــر لـــــذعتها التـــــي قـــــد تحـــــرق
بـــــل كـــــان - رغـــــم حـــــرارة بـــــك - جـــــدولاً
ينـــــساب رطبـــــًا ســـــائغًا يترقـــــرق
واشـــــتدّ في ضـــــغط الأصـــــابع علَّهـــــا
بَـــــصَمت بكفّـــــك لوعـــــة تتحـــــرّق
كانـــــت بـــــديلاً للعنـــــاق، وإنمـــــا
أســـــمىٰ، كرمـــــز للـــــوداد يوثِّـــــق
عنـــــف بـــــدا عنـــــد الـــــتلامس، بينمـــــا
تخفـــــي الـــــضلوع لـــــه ضـــــعيفًا يخفـــــق
مـــــن كانـــــت الأعـــــصاب تهـــــدأ عنـــــده
باتـــــت بـــــه في ثـــــورة تتمـــــزق
رأت العيـــــادة - حـــــين جئـــــت - طبيبَهـــــا
لفـــــظُ المـــــريض بـــــه أحـــــق وأليـــــق
أصـــــبحت آســـــية لـــــه، يـــــا هـــــل تُـــــرىٰ

سـيراك قاسـية، فـشأنك مطلـق؟
عوديـه لـو في كـل عـام مـرة
فبهـا دبيـب اليـأس لا يتطـرق
هـي جرعـة سـحرية لفـؤاده
يزكـو بهـا الأمـل النـضير ويـسمُق
إن الفـؤاد - بغيـر حـب - مجـدب
فـإذا رواه الحـب فهـو المـورق
كـوني لـه النيـل الـذي بوفائـه
وصَـفُوِه، إذ في كـل حـول يـصدق
كـوني الربيـع وفيـك كـل بهائـه
إن الربيـع بكـل عـام يـشرق
يـاوردة عـزت بـشوك عفافهـا
مـا ضـرّ لـو أنـا نحـوم وننـشق!

(١١) د. نجيب الكيلاني[١]

قصيدة (أنا لستُ أرضىٰ)

أنـــــا لـــــستُ أرضـــــىٰ أن أعـــــيشَ،
بـــــشاطئ الـــــدنيا غريـــــبْ،
في معقـــــل الـــــصمتِ الكئيـــــبِ،
علـــــىٰ ثـــــرىٰ وادٍ رهيـــــبْ.
الحـــــزنُ أغنيتـــــي وأحلامـــــي،
يُوشّـــــيها الـــــشحوبْ.
أنـــــا لـــــستُ أرضـــــىٰ أن أكـــــون،
صـــــدًىٰ هـــــزيلاً في الـــــدروبْ.

(١) هو نجيب عبد اللطيف إبراهيم الكيلاني، وُلد بإحدى قرى محافظة الغربية عام ١٩٣١، وتخرّج في كلية الطب جامعة فؤاد الأوّل (القاهرة)، ثم غادر مصر مُضطَرا إلى دولة الإمارات التي استقرّ بها حتى وفاته عام ١٩٩٥. جمع بين الطب والأدب، وأثرى المكتبة العربية بأكثر من سبعين مؤلّفا في الرواية والقصة والمسرحية والطب والشِّعر. تميّز أدبه بالسمت الإسلامي، ونال بموجبه أكثر من جائزة. وقد ترجمْت له مطوَّلا في كتابي (أطباء فوق العادة).

إنّ الحيـــــــــاة علــــــــىٰ الغريـــــــــبِ،
أشـــــــقُّ مـــــــن هــــــولِ الممـــــــــاتْ.
مـــــــــضجوعةُ النجــــــــوىٰ معذَّبـــــــــةُ،
الخـــــــــــــواطِرِ والـــــــــــــسِّماتْ.
وشـــــــــروقُها مثـــــــــل الغـــــــــروبِ،
وشـــــــدْوُها لحـــــــــنُ النُّعـــــــــاةْ.
فهـــــــــي الفــــــــــراغُ المــــــــــدْلهمُّ،
ومـــــــــــــدفنٌ للأمنيـــــــــــــاتْ.

(١٢) د. ماهر حتحوت[١]

قصيدة (لغة الصمت)

من منكم يفهم لغة الصمت
كي أُسمعه ألفَ قصيدة
خاليةٍ من نبرات الصوت
أحرفها جمر التنهيدة.
يا صحبي .. للصمت بيان
أصدق من كلّ الكلمات
لو صِيغت من رعشات لسان
يتلوّىٰ في حلق ظمآن

(١) طبيب وشاعر وناشط في مجال الدعوة، وُلد في القاهرة عام ١٩٣٦، وتخرّج في كلية الطب جامعة القاهرة، ثم هاجر مضطَرا إلى لوس أنجلوس بأمريكا ليعمل في مجال أمراض القلب إلى جانب نشاطه كرائد للعمل الإسلامي والخيري في أمريكا. تُوفّي عام ٢٠١٥ وقدّرته الجالية المسلمة في أمريكا خير تقدير. ترك مؤلّفات في التعريف بالدين الإسلامي، وحقوق الإنسان، ومفهوم الديمقراطية، برؤية مستنيرة.

يتلـــــــــمّس نبعـــــــــاً في الظلمـــــــــات .
مـــــــَن يجهـــــــل لغتـــــي .. فلْيتركنـــــــي
لا يتـوهّـــــــــــم بـــــــــي الإعـــــــــياء
فالـــــــــشعر الكـــــــامن في صـــــــــمتي
لا أنـــــــــــــشده للبلـهـــــــــــــاء .
مَـــــن قـــــال بــــأنّ الــــــشعر كـــــلام؟ !
الــــــشعر.. هنيهـــــــةُ صـــــــدقٍ إنـــــــساني
الــــــشعر شعـــــــــورٌ وجـــــــــــدانيّ
يــــــــسكب في شـــــــريان الحـــــــرف . .
فالأحـــــــــرف نــــــــورٌ نـــــــــورانيّ .
والكلمــــــــة دنيـــــا مـــــن أحـــــلام
لا يكبـــــــحها سُـــــــور الخـــــوف .
فَـــــلَإن قـهــــر الخــــــوفُ الكلمــــــة،
فلْتتحــــــــــصَّن خلــــــــف الــــــــصمت
ولْنـــــــخلع عـــــن ألـــــــستنا الـــــصوت
ولْنترنَّـــــــــــــــمْ دون كـــــــــــــــلام
ولْنتـــــــــــصافح دون ســـــــــــلام
فالكـــــــــلمة إن تـــــــسلبها الـــــــصدق

تـحـكـــــــــم فـيـهــــــــا بالإعـــــــــدام .
وأنـــــا يـــــا صحـــــبي لـــــم أتعـــــبْ
أنـــــا شاعـــــرُ صـــــدقٍ لا يكـــــذبْ
أنـــــا فـــــارسُ شعـــــرٍ لـــــم يُغْلَـــــبْ
فالـــــصمت النـــــاطق لـــــيس هزيمـــــة
لكـــــــــن تزييـــــــــف الترنيمـــــــــة
أو صـــــلب الحـــــرف جـــــوار الحـــــرف
كـــــــي نـــــصنع زورا تنغيمـــــــة
يـــــصطكُّ عليهـــــا قيـــــد الخـــــوف . .
لَدليـــــــلٌ أن هـــــــناك جريمـــــــة
أُرْتُكِبَـــــــت فـــــي حـــــقّ الكلمـــــة
سحقتْهـــــــــــا ذلاًّ وهزيمـــــــــــة
سلـــــبتْها مـــــن قـــــدس المـــــضمون .
مـــــَن يقتُـــــلْ ابنتـــــه مجنـــــون
والـــــــشاعر كلمـــــــته بنتـــــــه
لا يـــــــسقيها كـــــأس مَنـــــون
ويخـــــاف علـــــىٰ قـــــدس الكلمـــــات
مـــــِن غـــــولٍ يملـــــك صـــــفّ عيـــــون

عفريـــــــت مجنــــــــون القـــــــسمات
يتربـــــــــص شـــــــــراً بالكلمـــــــات .
وأنـــــــا يــــــا أصحـــــــابي شــــــاعر
أبحــــــث عـــــن لغـــــة أخـــــرىٰ
لا تدركهـــــــا عيـــــــن الغـــــــول
بالــــــــــصمت..أقـــــــــــول . .
نظـــــرة عـــــيني تقـــــدح شـــــررا
زمَّـــــةُ شفتـــــي تنطـــــق جمـــــرا
وبـــــسيف الـــــصمت أصـــــول أجـــــول
إطراقـــــــي شعـــــــر مـــــــملول
وشـــــــرودي بيـــــــت مـــــــذهول
ولهاثـــــــي أشعلـــــــه شـــــــعرا
والتنهيـــــدة بيـــــت قـــــصيدة
إن لـــــم تفهـــــم لا تتـــــكلَّمْ
لا تتوهَّـــــــــمْ أن مُـــــــــتّ
فغـــــدا.. ســـــأفضُّ غـــــلاف الـــــصمت
عـــــن أحلـــــىٰ أثمـــــار الألحـــــان
عـــــن شِـــــعر لا يدركـــــه المـــــوت .

حيـــــــــن أُسطِّـــــــــــر في الأبيـــــــات
أصــــــــــدق إحــــــــساس الإنـــــــسان
تتـــــــــمطَّىٰ الكلمـــــــــــة في اطمئنــــــــان
لا تتناهــــــــــــــــشها الغـــــــــــــيلان . .
حتـــــــىٰ يأتـــــــي هــــــــذا الحـــــــين
فالـــــــصمت النـــــــاطق لـــــيس بـــــلادة
الـــــــــــــــــــــصمت بلاغـــــــــــــــــة
الـــــــصمت يطِـــــنُّ بـــــألف طنـــــين
الـــــصمت نـــــواح .. الــــــصمت أنـــــين
الـــــصمت نـــــذير فيـــــه رنـــــين .
مَــــــــن لا يفهــــــــم لا يتـــــــــكلّم
مَـــــن يجـــــهل لغتـــــي فلْيتركنـــــي
لا يتوهّـــــــــم بــــــــي الإعـــــــياء
فالــــــشِّعر الكــــــامن في صـــــــمتي
لا أرويــــــــــــــه للبلهــــــــــــــاء؟

(١٣) د. عمر حيدر أمين العبهري[١]

قصيدة (أُمّ اللغات)

لـــــكِ في ريـــــاض الخالـــــدين جـــــذورُ
يزهـــــو بهـــــا المنظـــــومُ والمنثـــــور
وعليـــــكِ مـــــن طيـــــب الفـــــروع غـــــضارة
ريَّـــــا ســـــقاها الـــــورد والمنثـــــور
في كـــــلِّ لفـــــظٍ دقّـــــةٌ وإبانـــــة
وبكـــــل حـــــرفٍ نفحـــــةٌ وشـــــعور
لغـــــة حبـــــت كـــــلّ اللغـــــات بحجرهـــــا

(١) طبيب وشاعر أردني، ولد بحيفا الفلسطينية عام ١٩٤٢. درس الطب في جامعة الاسكندرية بمصر، ومارسه في الأردن عبر وكالة غوث اللاجئين الدولية. نال أكثر من جائزة في مجال الشعر، وله ثلاثة دواوين طُبعت في مجلد واحد بدعم من وزارة الثقافة الأردنية وذلك بعد وفاته في مدينة الرصيفة الزرقاوية عام ٢٠١١، ويغلب على شعره الطابع التأمّلي الاجتماعي.

وامتـــــاح مـــــن نغماتهـــــا الـــــشحرور
أيُّ العلـــــومِ عجـــــزْتِ عـــــن تمثيلـــــه؟
وبـــــأيّ فـــــنٍّ خانـــــكِ التعبيـــــر
منـــــكِ اســـــتقتْ شـــــيراز كـــــلَّ حروفهـــــا
والهنـــــدُ قـــــد نهلَـــــت ونيـــــسابور
واســـــتلهَم القـــــانونُ لفظَـــــك فاســـــتوىٰ
وســـــريتِ في الحـــــاوي فكـــــان النُّـــــور
لكـــــنّ أهلـــــك بـــــدّلوا بـــــك عجمـــــة
واعـــــوَّج ألـــــسنةٌ لهـــــم وســـــطور
أنـــــا مَـــــا ســـــمعْتُ بمَـــــن يغيِّـــــر جلـــــده
متـــــذرّعًا أن لـــــيس فيـــــه بثـــــور ! !
أعـــــداؤنا دُؤُبٌ لبعـــــث رميمـــــةٍ
وعليـــــكِ يـــــا أُمّ اللّغـــــات نَجـــــور ! !
يبكـــــي علينـــــا ابـــــنُ النفـــــيس، ويـــــستحي
مـــــن بؤســـــنا الـــــرازيُّ والمنـــــصور
هـــــذي ســـــفينتنا تـــــسير وفوقهـــــا
أحلامُنـــــا وتراثُنـــــا المهـــــدور
هـــــل تهتـــــدي؟ والـــــريح تعـــــصف حولهـــــا

والمـــــــوج والأحبـــــــار والـــــــديجور؟
لا لـــــن تـــــضلِّي!! فالهـــــدىٰ بـــــك نـــــاطق
واللـــــــــوحُ والفـــــــردوسُ والمـــــــأثور"

(١٤) د. محمد حكمت وليد[1]

قصيدة (أغنية في حبّ المطر)

لقـــــد جـــــاء عَهْـــــدُ المطـــــرْ
تهَلَّـــــل وَجْـــــهُ الزَّمـــــانِ
وأشـــــرقَ وَجـــــهُ القَمَـــــرْ
فهـــــذي البُـــــروقُ سَـــــنا بَرْقِـــــهِ
وتلـــــك الجـــــداولُ مِـــــنْ وَدْقِـــــهِ
فيـــا عَطَـــشًا عـــاش في حَلْقنـــا أَعْـــصُراً
لقَـــــد راح وقـــــتُ اليبـــــاسِ
وأقبـــــلَ عَهْـــــدُ المطـــــر
فتِلْـــكَ الرِّمـــالُ تُفَـــتِّحُ حَبَّاتِهـــا للمطـــرْ

(١) طبيب وشاعر وسياسي سوري، وُلد في مدينة اللاذقية عام ١٩٤٤، تخرّج في كلية الطب جامعة دمشق عام ١٩٦٨، ثم سافر إلى إنجلترا وتخصّص في طب وجراحة العيون. عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وله من الشعر دواوين ثلاثة لُقّب من خلالها بشاعر الإيمان والثورة، كما شارك في تأليف معجم طبي عن العيون.

وهَـــذي الروابـــي تُكَلِّـــلُ أرجاءَهـــا بـــالزَّهَرْ
وهـــذي الـــشُّجيرات تحْمِـــلُ أغـــصانُها بـــالثمَرْ
تعَـــــالَي إلـــــيَّ جُمـــــوعَ الـــــسنونوُ
لنغـــــــسلَ أحزانَنَـــــــا بـــــــالمطرْ
ونَمـــــــلأَ أفواهَنـــــــا بـــــــالمطرْ
نبلـــــــلُ أهـــــــدابَنَا بـــــــالمطر
ونَمـــــرحُ تحـــــتَ عيـــــونِ المطـــــر
أُحِـــبُّ الـــشتَاء لأن الـــشتاء يُحـــبُ المطـــرْ
أُحِـــبُّ الغمـــامَ لأن الغمـــام يَـــسيل بـــدمع المطـــرْ
أُحِـــبُّ الحَمَـــامَ لأن الحَمَـــام يُرتـــل أشـــواقَهُ للمطـــرْ
وأَكْـرَهُ طَعْـم الجفـافِ لأن الجفـافَ عَـدُوُّ المطـرْ
يقولـــــــــــون إن المطـــــــــــرْ
يُتَـــــــرجِمُ أشـــــــواقَه أَنْهُـــــــرا
يغَـــــــوصُ بـــــــبطنِ التُّـــــــرابِ
ليَـــــــسْكُنَ قلـــــــبَ الثـــــــرىٰ
ويَخْـــــرُجَ يُنبـــــوعَ مـــــاءٍ نميـــــرٍ
يفـــــــــــيضُ نمـــــــــــاءً
يفـــــــــــيضُ عطـــــــــــاءً

ويمـــــلأُ سَـــــلّاتِنا كَـــــرَزاً أحمـــــرا
ويملؤُهـــــا الـــــوردَ والـــــسُّكرا
يعَطِّـــــر هـــــامَ الروابـــــي
ويبهجُهـــــا منظـــــراً منظـــــرا
لقَـــــدْ خَلَـــــق اللهّ هّـــــذا المطـــــر
حيـــــاةً لِكُـــــلِّ النُّفـــــوسِ
مـــــشَاعًا لكـــــل البـــــشرْ غـــــديراً
لتـــــشربَ مِنْـــــهُ الزُّهـــــورُ
لتَنْقُـــــرَ منـــــه الطيـــــورُ
لـــــتعكِسَ فيـــــه الـــــضياءَ البـــــدورُ
لـــــيملأَ تلـــــك الجـــــداولَ والأَنهـــــرا
فيَـــــا مطـــــرا غـــــاب عـــــن أرضـــــنا أَدْهُـــــرا
تحِـــــنُّ إليـــــكَ النفـــــوسُ
ويـــــشتاقُ كـــــلُّ الـــــورىٰ
تعَـــــال إلينـــــا
تحـــــنُّ إليـــــك ضـــــروعُ اليبـــــاسِ
تحِـــنُّ إليـــك الـــشقائقُ إذ لَطَمَـــتْ خَـــدَّها الأحمـــرا
تحِـــنُّ إليـــكَ البـــذورُ بقلـــبِ التّـــراب

وكُـــــــــلُّ ربُـــــــــوعِ اليَبـــــــــابِ
لتُنْقِـــــذَها مـــــن جُيـــــوشِ الخـــــرابِ
وتَغْـــــسِلِ بالحـــــبِّ وَجْـــــهَ الثّـــــرىٰ

***

قصيدة (لماذا هجرْتَ بلادَك):

لمـــــاذا هجـــــــرتَ بــــــــلادَك؟
لمـــــاذا هجـــــرتَ الجـــــواد الأصـــــيل؟
لمـــــاذا اســـــتقلْتَ مـــــن الحـــــبّ؟
ذاك الربيـــــــــع الجميـــــــــل
وأقلعْـــــــتَ عـــــــبر المـــــــدىٰ
وســـــافرتَ في أبحُـــــر المـــــستحيل؟

***

تعـــــــــال إلينـــــــــا
تحـــنّ إليـــك زهـــورك رغـــم الـــذبول
يحـــــنّ إليـــــك رفـــــاق الطفولـــــة
أبنـــــاء حيّـــــك.. أمّـــــك.. أختـــــك
والكـــلّ يحيـــا علـــىٰ ذكريـــات هـــواك الجميـــل
ألـــــم تـــــستمع لـــــلأذان؟

يـــــــــسافر عــــــــــــبر المــــــــــــدىٰ
ويرجـــــــــــع عــــــــــود الـــــــــــصدىٰ
ليبحـــــــث عنــــــك ومـــــا مـــــن دليـــــل
فتــــــــدمع عــــــــينُ المــــــــــساجد
عنـــــد الــــــصباح وعنـــــــد الأصـــــيل
ألـــــــــست تحـــــــــنّ إلينـــــــــا؟
إلـــــىٰ ذكريـــــات الهـــــوىٰ والنخيـــــل
وتلـــــــــــــــك الـــــــــــــسواقي
ألـــستَ تحـــنّ إلـــىٰ مائهـــا السلـــسبيل؟
أمـــا اشـــتقْتَ للخـــوخ فـــوق الغـــصون؟
وللتـــــــين واللـــــــوز والزنجبيـــــــل
وشـــــــــربة مـــــــــاء بأفيائهـــــــا
تبــــلّ الغليــــل وتُحيــــي العليــــل

***

أَقِلّــــــي مــــــن اللـــــومِ أختـــــاه
إنّ فــــــــــــــؤادي عليـــــــــــــل
وإنّـــــي أعـــــاني مـــــن الاكتئـــــاب
ومـــن لوعــــة الاغـــتراب الطويـــل

فـــــلا تغرســـــي في فـــــؤادي الـــــسهام
ففـــــي كـــــلّ ســـــهم حبيـــــب قتيـــــل
دعينـــــي أنـــــا مـــــا هجـــــرت الـــــبلاد
ولـــــم يهـــــدأ القلـــــبُ يـــــوم الرحيـــــل
وأمّـــــــــــــــا بعـــــــــــــــادي
فـــــــــذلك هـــــــــمٌّ ثقيـــــــــل
وشـــــــــــــرحٌ طويـــــــــــــل
أنـــــا مـــــا هجرْتـــــكَ يـــــا مـــــوطني
فهجْـــــــــركَ في ملّتـــــــــي مـــــــــستحيل
أنـــــا مـــــا هجرتـــــكَ حـــــرّاً
ولكن هجرتُ الجراد بأرضك يغتال فيك الحقول
هجـــــرتُ الغـــــرابين تختـــــال مرتاحـــــة
وفـــوق ربـــاك تمـــوت البلابـــلُ كـــلّ الفـــصول
وتقـــــضي بـــــك الـــــصافناتُ الجيـــــاد
يمـــــوت علـــــىٰ شـــــفتيْها الأصـــــيل

***

ســـــــأرجع يومـــــــاً إليـــــــك
وأهجـــــــــــع في مقلتيْـــــــــــك

سـأرجع أحمـل نـور حـروفي
وقلبـي إليـك الـدليل
وأبـذر فيـك ضـيائي وشمـسي
وأحيـا بظـلٍّ ظليـل

***

وحتـىٰ تـزول جيـوشُ الجـراد
ويحيـا صـهيلُ الجيـاد
فحبّـك يـا وطنـي مـؤلم
وهجْـركَ يـا وطنـي مـستحيل

(١٥) د. السيد الجميلي[١]

قصيدة (العالِم الذي فقدناه)[٢]

جـــــادت الأعـــــينُ بالـــــدمع ســــخيّا
ســـاخنًا قـــد كـــان مـــن قبـــل عـــصيّا
وأتـــى الحـــزْنُ علـــى ينْـــعٍ بـــه
بعـــد أن كـــان بـــه غـــضًّا نـــديّا
وثكـــــالى ذاهـــــلاتٍ رُوِّعَـــــت
لرحيـــــل الـــــشيخ عنّـــــا أبـــــديّا
صـــارَع الأهـــوالَ لـــم يأبـــه لهـــا
لا يُمـــاري أو يُـــداري خارجيّـــا

(١) طبيب وشاعر ومحقّق ومفكر إسلامي ولد عام ١٩٤٨ وتوفي عام ٢٠١٨ في الشهر ذاته الذي ولد فيه وهو يناير، ترك وراءه تراثا ضخما من المؤلَّفات، أبرزها فتاوى الإمام الشعراوي.

(٢) القصيدة جاءت في رثاء الإمام الشعراوي بمناسبة ذكرى وفاته الأولى عام ١٩٩٩م

قـــــد حفظْـــــتَ الـــــذِّكرَ واســـــتظْهرتَه
ومتـــــونَ العِلْـــــم مـــــذ كنـــــتَ صـــــبيّا
في هُـــــذيْلٍ كـــــابنِ إدريـــــسَ مـــــضىٰ
يعـــــشق الـــــضاد لـــــسانًا أصـــــمعيّا
كـــــان صـــــلب الـــــرأي محفـــــولًا بـــــه
كالرواســـــي شـــــامخ العـــــزم أَبِيّـــــا
حوضـــــه المـــــورود عـــــذب ســـــائغ
لـــــم يَـــــزَل يـــــروي النُّهـــــىٰ عـــــذبًا شـــــهيّا
هـــــو كالبـــــصْري في منطوقـــــه
بـــــل هـــــو النّعمـــــان[1] لَمّاحًـــــا ذكيّـــــا
أو شـــــريْح حيـــــث يقـــــضي أمـــــره
بـــــل هـــــو الـــــشّعبيّ فـــــذّا أحوذيّـــــا
ركـــــب المجـــــدَ جـــــوادا ســـــابحا
يـــــذرع الأرجـــــاءَ صُـــــبحًا وعـــــشيّا
إنهـــــا الـــــدنيا وهـــــذا شـــــأنها
لا تـــــصون العهـــــدَ كـــــي تُغنـــــي شـــــيّا
فلـــــذا عنهـــــا مـــــشيحًا قـــــد مـــــضىٰ

(١) يقصد الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان.

راجيًــــــــا في الله خُلْــــــــــدًا أبـــــــــديّا

ربِّ واجـــــــــبر كــــــــــسرَنا في فقـــــــده

بجميـــــــل الـــــــصبر مـــــأجورا رضـــــيّا

يـــــا إلهــــــي ارفـــــق بـــــه واغفـــــر لــــه

إنــــــه كـــــان علـــــىٰ الـــــدرب وليّـــــا

(١٦) د. أحمد تيمور[١]

قصيدة (خرافة)

أنـــــــا أكتـــــــب الـــــــشعرَ
في امـــــــرأةٍ مـــــــن خرافـــــــة
فبـــــــين خيـــــــالاتِ شِـــــــعري
وواقـــــــعِ أمـــــــري مـــــــسافة
أمـــــــدّ عليهـــــــا موائـــــــدَ ظنّـــــــي
وأُولـــــــم كـــــــلَّ عـــــــرائسَ فنّـــــــي
وأُطلعهـــــــنّ علـــــــىٰ كـــــــلّ شـــــــأني
وأطـــــــرح بُعـــــــدَ التَّمنّـــــــي
وأطـــــــرح بُعـــــــدَ المَخافـــــــه

(١) هو أحمد تيمور محمود محمد سعد، سليل العائلة التيمورية الأدبية الشهيرة. وُلد بالقاهرة عام ١٩٤٨، وتخرّج في كلية الطبّ جامعة القاهرة عام ١٩٧٢، ثمّ واصل مشواره في التدريس بكلية الطب جامعة الأزهر. له من الدواوين ما يَقرب من ثلاثين ديوانا، جمعَت بين الوطني والديني والرومانسي والمناسبات، وتُرجمت إلى لغات أجنبية عدّة.

وأَبقـــــــــــــى علـــــــــــــــى العهــــــــــــــد

أكتــــــــــــبُ كـــــــــلّ القـــــــــــصائد فيهـــــــــا

والـــــشِّعرُ في قلـــــب مــــن يُــــتقن العـــــشقَ آفـــــه

***

(١٧) د. ريكان إبراهيم[١]

قصيدة (الرحلة إلى التوحيد)

تَـــــــصوّرتُه لـــــــم يكُـــــــنْ
وجَنّـدتُ كـفَّ غـروري لـصَفْعِ خـدودِ يقينـي
وأنكْرتُـــهُ عامـــدًا فتمـــشّىٰ علـــىٰ رئتـــي وابـــلُ
مـــــــــــن قلَـــــــــــقْ
وأزَّ مـــن القلـــبِ صـــوتٌ يقـــولُ: أعـــوذُ
بـــــــــــربِّ الفلَـــــــــــقْ
تَـــــــصورتُني دونمـــــــا خـــــــالقٍ
فأصـــــــبحتُ في لجّـــــــةِ الارتيـــــــابْ
أدورُ وأنفُـــــــضُ عنّـــــــي اختنـــــــاقي

(١) هو ريكان إبراهيم خلف الدليمي، طبيب وشاعر عراقي، وُلد في محافظة الأنبار عام ١٩٥٢، ودرس الطب في جامعة بغداد، ثمّ تخصص في الطب النفسي بجامعة فيينا النمساوية. عضو اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين، وله مؤلّفات عديدة في علم النفس، إضافة إلى ثلاث دواوين شعرية.

كمـــا يـــنفُضُ عنـــه اللـــديغُ الثيـــابْ

***

بكـــــــتْ عـــــــينُ قلبـــــــي
ورقّـــــــــتْ لحـــــــــالي
وقَـــشّرتُ عقلـــي بظُفْـــرِ ســـؤالي
فحـــصْحَصَ مـــن لُبّـــهِ صَـــوْلجانْ
وراحَ يخـــــاطِبُني الـــــساجدانْ
يـــصيحانِ: وَيْحـــكَ كيـــفَ انتَحيْـــتَ
مـــــن الهَـــــدْيِ جنبًـــــا
وأغلظْـــــــتَ قلبًـــــــا
وكيـــفَ تَجـــرّأَ فيـــكَ الحِجـــا واللـــسانْ
علـــىٰ مَـــنْ لـــه يـــسجُدُ النيِّـــرانْ

***

مـــن مُـــضغةٍ جئـــتُ ثـــم اســـتويتْ
فـــسبحانَ مَـــنْ بثّهـــا نَفْخـــةً
بهـــا صـــرتُ حيًـــا وقـــد كنـــتُ مَيْـــتْ
ووزّعَ نفـــسي علـــىٰ مِفـــرقينْ:
فعقـــلٌ ببيـــتٍ وقلـــبٌ ببيـــتْ

تـــــصوّرْ لـــــو أنَّ الخلـــــودَ نـــــصيبي
بقيـــتُ هنـــا أتمنّـــىٰ لـــو أنّـــي أمـــوتُ
لألقـــــــــــــــىٰ حبيبـــــــــــــــي
فـــــسبحانّه صـــــيّرَ المـــــوتَ جـــــسرًا
إلـــــــــــــــىٰ ملتقـــــــــــــــاهْ
وهـــــل يبتغـــــي المـــــرءُ مـــــن مُنيـــــةٍ
أعـــــزَّ مـــــن اللهِ وهـــــو يـــــراهْ

***

تـــصورْ لـــو أنَّ الخلـــودَ نـــصيبُ البـــشرْ
لـــصالَ وجـــالَ بهـــا مَـــنْ كفَـــرْ
وأصـــــــــــــــبح بـــــــــــــــوذا
نظيـــــــــــــــرَ يهـــــــــــــــوذا
ونيـــــــــــــــرونُ رومـــــــــــــــا
مَلاكًـــا علـــىٰ مـــا بـــهِ مـــن خَطَـــرْ

***

هـــي الـــشمسُ تجـــري إلـــىٰ مُـــستقرٍّ لهـــا
وكـــان أبـــو الأنبيـــاءِ يُفـــتّشُ عـــن ربّـــهِ حَولَهـــا
يقـــــولُ لهـــــا حينمـــــا تَختفـــــي :

رويــــــــــــــــــــــدًا، قِفــــــــــــــــــي
أأنــــــتِ الإلــــــهُ الــــــذي مِــــنْ ســــــنينْ
أُناجيـــــهِ ســــــرًا، وهـــــا... قـــــد أفِلْــــتِ
فكيــــفَ يكـــونُ إلـــهيٰ مـــن الآفلـــينْ؟

***

مـــــــن جمــــــــــودِ الـــــــــصنمْ
مـــن الجـــاهلينَ بـــأنَّ الوجـــودَ نَقـــيضُ العـــدَمْ
مــــــنَ النـــــاكرينَ لكـــــلِّ الـــــنِعَمْ
مــــــن الفاقــــــدينَ الهُـــــدىٰ والنُهــــىٰ
يقــــــومُ الــــــدليلُ عليـــــهِ إلـــــهًا
لـــــــهُ سِـــــــــدْرةُ الــــــمُنتهىٰ
وللملحـــــــدينَ الأســــــىٰ والألـــــمْ

***

علـــــــــىٰ خَـــــــشَبِ النافـــــــذهْ
بقُـــرْبِ ســـريري، يَـــدقُّ بمنقـــارهِ بُلبـــلُ
قُبيْـــــــــــلَ الـــــــــــسَحَرْ
فأصــــــــحو لأقــــــرأ في صــــــوتِهِ
بـــأنَّ الـــضياءَ ابتـــدا والظـــلامَ انحـــسرْ

فـــــسبحانه مُـــــولجِ الليـــــلِ بطــــــنَ النَّهـــــارْ
وســـــــبحانهُ راســــــمًا صــــــورةً للجمــــــالِ
بـــــــــــــــــــدونِ إطـــــــــــــــــــارْ

***

مــــــن الـــــــدودِ في جَامـــــدٍ مــــــن صـــــخورْ
مـــــن الغـــــيمِ يـــــركضُ شـــــرقًا وغربًـــــا
ليَـــــــــــــــــسقي الزهـــــــــــــــورْ
مـــــن البحـــــرِ يهـــــدأُ حينـــــًا وحينًـــــا يثـــــورْ
مـــــن الـــــذئبِ يقـــــسو علـــــىٰ غيـــــرِهِ
ويحـــــــــــضُنُ أطفالَـــــــــــهُ في حُبـــــــــورْ
مـــــن الـــــنفسِ، فاضـــــلةً في النهـــــارِ
وفي الليـــــــــل داعـــــــرةً بـــــــــالفجورْ
يقـــــومُ الـــــدليلُ لـــــدىٰ صـــــاحبِ العقـــــلِ
مثلـــــــــــي، ويـــــــــــسمو الـــــــــــشعورْ
بـــــأنَّ وراءَ الخفايـــــا إلهًـــــا يـــــدبِّرُ
كـــــــــــــــلَّ الأمـــــــــــــــورْ

***

أخاطبُ كلَّ النساءِ اللواتي تعشّقنَ شِعري
وطالبْنني بنشيدِ الغزَلْ
أخاطبُ أُمّي علىٰ قبرِها، كنتُ أرتادُهُ
لألبسَهُ حُلّةً من قُبَلْ
أخاطبُ في والدي عفْوَهُ
إذا ما رآني شَحيحَ المُقلْ
أخاطبُ كلَّ زعيمٍ قويٍّ
تعلّمَ مني خطابَ الدجَلْ
أخاطبُ ضَعْفي أمامَ البريقِ الذي
في الأملْ أخاطبُهُمْ كلَّهمْ
بأنْ يعذروني إذا وجدوني
تغيّرتُ فيهم وصرتُ بخيلًا بشعرِالغزلْ
فما عُدتُ أصلحُ إلّا لربّي
وما عادَ قلبي
مكانًا لغيرِ إلهِ الأزَلْ
فأوقفتُ شعري علىٰ بابِهِ
يصلّي طويلًا بمحرابِهِ
ويَحني لهُ هَامهُ في خَجَلْ

(١٨) د. محمد نجيب المراد[١]

قصيدة "الطبيب"

وإنَّ الطِّـــــبَّ مهنـــــةُ كُـــــلِّ حُـــــرٍّ
رأىٰ أنْ يَبـــــذلَ الجهـــــدَ اجتهـــــادا
وأوشـــــكَ أن يُقَـــــدَّسَ كـــــلُّ طِـــــبٍّ
كمحـــــرابِ الـــــصلاةِ نقـــــىً وكـــــادا
وكـــــلُّ محـــــارِبٍ في الطِـــــبِّ يبقـــــىٰ
علـــــىٰ الأيـــــامِ أكرمَنـــــا جهـــــادا
ألـــــيسَ المبـــــضعُ الحـــــاني صَـــــلاحًا
وكـــــان بنظـــــرةٍ أُخـــــرىٰ فـــــسادا
ومَـــــنْ مَـــــنَح الحيـــــاةَ كـــــريمَ معنـــــىً

(١) طبيب وشاعر سوري، يُلقَّب بشاعر العرب. وُلد بمدينة حماة عام ١٩٥٧، ودرس الطب في مصر، ثم تخصص في طب وجراحة الأنف والأذن والحنجرة بفرنسا، وقضى حياته المهنية بالمملكة العربية السعودية. له من الدواوين أربعة، ويتميز بإلقائه الشعري المتألّق.

وإنْ "بـــــالجرحِ" سَـــــمَّوهُ الجَـــــوَادا
ومَـــــنْ سَـــــهرَ الليـــــالي كالحـــــاتٍ
وأعطـــــىٰ الموجَـــــعَ القلِـــــقَ الرُّقـــــادا
وأعمـــــلَ روحَـــــهُ عِلمـــــاً وحُبَّـــــاً
لأَجـــــلِ مريـــــضِهِ عَـــــشِقَ الـــــسُّهادا
وحـــــنَّ تعاطفـــــاً لبكـــــاءِ طفـــــلٍ
ولَطَّـــــفَ عنـــــدَ والـــــدهِ الـــــشِّدادا
وأَرَهَـــــقَ في ســـــبيلِ البحـــــثِ عمـــــراً
وكَـــــرَّرَ بحثَـــــهُ صـــــبراً، وعـــــادا
وَلَـــــجَّ ليعـــــرفَ المـــــرضَ المخبَّـــــا
وزادَ علـــــىٰ شراسَـــــتِه عنـــــادا
فَمَـــــنْ غيـــــرُ الطبيـــــبِ لـــــهُ أيـــــادٍ
تعـــــمُّ النـــــاسَ طُـــــراً والـــــبلادا
وقـــــد سَـــــمَّوهُ عـــــن قـــــصد حكيمـــــاً
يـــــوازنُ إن تَـــــوانىٰ أو تَمـــــادىٰ
ويعطـــــي الأمـــــرَ منزلَـــــهُ بقـــــدرٍ
ويعـــــرفُ إنْ أَســـــاءَ وإن أجـــــادا
هـــــو الطـــــبُّ المبـــــارَكُ مـــــن قـــــديمٍ

رَجَـــــاهُ النـــــاسُ إحـــــساناً فجـــــادا
وفَـــــكَّ طلاســـــمَ اللغـــــزِ المعـــــادي
وطـــــابَ لـــــهُ علـــــىٰ المـــــرضِ الطِّـــــرادا
فيـــــا هـــــذا الطبيـــــبُ إليـــــكَ شِـــــعري
علـــــىٰ "التمييـــــزِ" نـــــصباً والمنـــــادىٰ
لقـــــد شُـــــرِّفتَ عـــــن (غيـــــرٍ) كثيـــــراً
كمـــــا رمـــــضانُ شُـــــرِّف عـــــن جمـــــادىٰ

(١٩) د. عبد الناصر الشيخ[١]

قصيدة (آخر الكلام)

وبعـــــض الأنـــــام كـــــبعض الـــــشجر
جميـــــــل القـــــــوام رديء الثمـــــــر
وفـــــرز النفـــــوس كفـــــرز الـــــصخور
ففيهـــــا النفـــــيس وفيهـــــا الحجـــــر
وكـــــم مـــــن كفيـــــفٍ بـــــصير الفـــــؤاد
وكـــــم مـــــن فـــــؤادٍ كفيـــــف البـــــصر
وكـــــم مـــــن أســـــيرٍ بقلـــــب طليـــــق
وكـــــم مـــــن طليـــــقٍ كـــــواه الـــــضجر
ومـــــا كـــــلّ وجـــــهٍ مـــــضيء يـــــدور

(١) هو عبد الناصر بن محمد الشيخ علي، طبيب وشاعر وخطاط سوري، ولد عام ١٩٥٩ بمدينة الرستن التابعة لمحافظة حمص، وتوفي عام ٢٠٢١م في مدينة غازي عنتاب التركية. درس الطب في جامعة دمشق، وتخصص في طب الأطفال. شعره يفيض بالوطنية والحكمة.

بعتمـــــــةِ ليـــــــلٍ يُـــــــسمَّىٰ قمـــــــر
ومـــــــا كـــــــلّ ذيٍ لحيـــــــة واعـــــــظ
ولا كـــــــلّ مَـــــــن قـــــــد محاهـــــــا كَفَـــــــر
أمـــــــا قِيـــــــل يومًـــــــا بـــــــأعلىٰ مكـــــــان
أصـــــــابت فتـــــــاةٌ وأخطـــــــا عمـــــــر
وكيـــــــف يجـــــــود كَمـــــــانٌ وعُـــــــود
إذا لـــــــم تهـــــــزَّ يـــــــداك الـــــــوتر
فقطـــــــرة مـــــــاء مـــــــرارا تـــــــدقّ
علـــــىٰ الـــــصخر حتـــــىٰ تـــــشقّ الـــــصخر
وكـــــم مـــــن شـــــهابٍ بعـــــالي الـــــسماء
بطرفـــــــة عـــــــينٍ تـــــــراه انـــــــدثر
وتعلـــــو النفايـــــات ســـــطح البحـــــار
وفي القعـــــر ترســـــو اللُّقـــــىٰ و الـــــدرر
وبعـــــض الوعـــــود كـــــبعض الغيـــــوم
قـــــوي الرعـــــود شـــــحيح المطـــــر
وخيـــــر الكـــــلام قليـــــل الحـــــروف
كثيـــــر القطـــــوف بليـــــغ الأثـــــر
وللـــــسيف حـــــرف أتـــــىٰ بالـــــدمار

وللحـــــرف ســـــيف أتـــــىٰ بـــــالقمر
ولـــــو لـــــم تَغُـــــرْ بـــــالتراب النـــــواة
لَمـــــا قـــــام منهـــــا الربيـــــعُ الأغـــــر
ولـــــو لـــــم تهـــــزَّ الريـــــاحُ الزهـــــور
لَمـــــا فـــــاح عطـــــرٌ ومـــــات الزهـــــر

(٢٠) د. عبد المعطي الدالاتي(١)
والهوى أذواقٌ (قصيدة)

هــــاتِ الحـــــديثَ مِزاجُـــــهُ الأشــــواقُ
وصِــــــفِ الحبيـــــبَ، فكلُّنـــــا تـــــوّاقُ
نهــــوى الحـــــروفَ تعطّـــــرَتْ أردانُهـــــا
بـــــشذا الأحبّـــــةِ .. والهـــــوى أذواقُ
فغــــدا يُحـــدّثُ عـــن جـــلال المــــصطفى
فتوضّـــــأتْ بدمـــــوعها الأحـــــداقُ
يَحكــــي بــــشوقٍ عــــن جمـــال محمّــــدٍ
أحلـــى اللُّغـــى مـــا قالـــتِ الأشــــواقُ

(١) طبيب وشاعر إسلامي، يُلقَّب بشاعر الإيمان، وُلد في مدينة حمص السورية عام ١٩٦١م، درس الطب في جامعة دمشق وتخصص في المختبرات الطبية، ثم درس الأدب العربي في جامعة حلب. له من الدواوين الكثير، يتناول فيها الحب والجمال والمرأة والقيم الروحية والأخلاق الإسلامية، ويتخذ من شاعر الرسول (حسان بن ثابت) مثله الأعلى في الشعر.

عـــن قلبـــهِ، عـــن حبّـــهِ، عـــن لُطفـــهِ
عـــن كـــلّ مـــا رضِـــيَت بـــه الأخـــلاقُ
تحيـــا بـــذكْر محمـــدٍ ترنيمـــةٌ
في القلـــب تَـــسري، والهـــوىٰ خفّـــاقُ
طـــوبىٰ لمَـــن بـــسنا الرّســـول تزيّنـــوا
يَهـــدي سُـــراهمْ ذلـــك الإشـــراقُ
طـــوبىٰ لمَـــن عـــن دربـــهِ لـــم يَغفلـــوا
يومـــاً، وذاقـــوا في الهـــوىٰ مـــا ذاقُـــوا
طـــوبىٰ لمَـــن في دربـــهِ قـــد أوْغلـــوا
نـــاموا علـــىٰ أحلامهـــمْ، وأفـــاقوا
ســـاروا إليـــه تحـــثّهمْ آمـــالُهم
وأنـــا الـــضعيفُ يَـــؤودُني الإرهـــاقُ
طالـــتْ، وطالـــتْ غربتـــي يـــا إخـــوتي
وحبيـــبُ قلبـــي دونَـــه الآفـــاقُ
طـــال الطريـــقُ فكيـــف أبـــدأُ رحلتـــي!
نحـــو الحبيـــب ومـــا لـــديَّ بُـــراقُ؟
لا تُطرقـــي يـــا نفـــسُ، هيّـــا فـــاذْهبي
وتَحسَّـــسي.. لا ينفـــعُ الإطـــراقُ

يـــا نفـــسُ جِـــدّي، إنْ يـــشأْ ربُّ الـــورى
لا يلبـــــــث الأحبـــــــابُ أنْ يتلاقُـــــــوا

(٢١) د. وليد الصرّاف[1]

قصيدة (سمسار في سوق عكاظ)

إلـــيّ يـــا قـــوم إنّـــي أكتـــب الـــشِّعرا
علـــىٰ عمـــود الفراهيـــديّ أو حُـــرّا
وصْـــفًا وقوفًـــا علـــىٰ أطـــلال مَـــن غـــبروا
مـــدْحًا هجـــاءً رثـــاءً كُدْيـــةً فخْـــرا
أهجـــو لكـــم يَعربًـــا إن كُنتمُـــو عجمـــا
أو كُنتمُـــو عربًـــا أهجـــو لكـــم كـــسرىٰ
وإن عـــشقْتم فعنـــدي مـــا يجـــيء بمَـــن
عـــشقتموه ولـــو جافـــاكُمو دهـــرا
حِـــبري دمـــوعُ التماســـيحِ التـــي غـــسلَت

(١) وليد محمود فوزي عبد القادر الصراف، طبيب وشاعر عراقي، وُلد في مدينة الموصل عام ١٩٦٤، درس الطب وتخصص في جراحة الأنف والأذن والحنجرة. عضو اتحاد الكتاب والأدباء العراقيين، وحائز على جوائز عدة في المحافل المحلية والعربية. له أكثر من ديوان مطبوع يحمل فيها لواء الخليل بكل فخر، مع إسهامات في مجالي القصة والنثر الفني.

دمَ الـــضحايا عـــن النّـــصل الـــذي أجـــرىٰ
بكلمـــــةٍ تُـــشبه الأصـــباغَ أحْرُفُهـــا
أجمّـــل العُهـــر حتـــىٰ يغتـــدي طُهـــرا
وأجعـــل الـــدمعَ إرهابًـــا وأجعـــل مَـــن
بنَـــت يـــداه ســـجونا مُطلِـــق الأســـرىٰ
وإن ثغـــا العِجـــلُ أُدنيهـــا إلـــىٰ فمـــه
بوقـــا ليَخـــرج منهـــا ثغيُـــه زأرا
شِـــعري صـــدًىٰ لـــرنينٍ مِـــن دراهمكـــم
فـــأكثِروا تجـــدوا أبياتَـــه كُثـــرا
أرثـــي لكـــم أرذل الأمـــوات أجعـــل مـــن
خـــسيس معدنـــه بعـــد الـــرّدىٰ تِـــبرا
ســـأوقف البحـــرَ إن مـــرّت جنازتُـــه
والـــشمسَ أخـــسفها أو أكـــسف البـــدْرا
وأســـرج الـــشّعر مُهـــرا للجنـــان بـــه
تطيـــر مِـــن قبـــل حتـــىٰ يـــدخل القـــبرا
قـــصيدتي كلمـــة الـــسرّ التـــي فتحَـــت
بـــابَ الجنـــان وأهدتْـــه بهـــا قـــصرا
دَعُـــوا جميـــع الأُلـــىٰ في الـــسوق إنّهمـــو

للـــشّعر لـــم يحـــسنوا أن يركبـــوا بحـــرا
أنـــا وحـــقّ الفراهيـــديّ أجـــودهم
بـــضاعةً وأنـــا أدنـــاهمُو أجـــرا

(٢٢) د. محمد بن ظافر الشهري [1]

قصيدة (رضا الناس)

ضحكْتُ فقالوا: ألا تَحتَشِمْ؟ !
بكيتُ فقالوا: ألا تبتَسِمْ ؟ !

بَسمْتُ فقالوا: يُرائي بها
عبسْتُ فقالوا: بدا ما كَتَمْ

صمَتُّ فقالوا: كَلِيل اللّسان
نطقْتُ فقالوا: كثير الكَلِمْ

حلُمْت فقالوا: صنيع الجبان
ولو كان مُقتدراً لانْتَقَمْ

(١) طبيب وشاعر سعودي، وُلد بالطائف عام ١٩٦٥م، تخرّج في جامعة الملك عبد العزيز بجدّة وتخصص في طبّ الأسرة. حائز على جائزة راشد للثقافة والعلوم بدولة الإمارات، وشعره لطيف رقيق ذو قيمة ومعنى.

بـــسُـلـتُ فـقـالــــوا: لـطَـيْـــشٍ بــــه
ومـــا كـــان مُـجـتـرِئـــا لـــو حَـكـــمْ

يـقـولـــــون: شـــــذَّ إذا قـلـــــتُ: لا
وإمّـعـــــةٌ حـيــــن وافـقـتـهُـــــمْ

فـأيـقـنْـــتُ أنـّــيَ مـهـمــــا أُرِدْ
رضـــا الـنـــاس لابـــدُ مِـــن أَنْ أُذَمّ ! ! !

***

وفي قصيدة ثانية يفضح فيها المعتذِر الكاذب المخادع، فيقول:

إنّ المُريـــبَ إذا مـــا جـــاء يعتـــذرُ
لـــم يَبْـــدُ للـــصدقِ في أعـــذاره أثـــرُ
تَـــاراً يقـــول لمَـــنْ لامـــوهُ يلمِـــزهُمْ:
إذا ابتُليـــتُمْ بـــسوءِ الظـــنِّ فاســـتَتِروا !
وتـــارة يـــشتكي الأفهـــامَ مُعتـــذراً
أنْ لـــيس في طَوْقِـــهِ أنْ (تفهـــم البقـــرُ)!
وربّمـــا قـــال: إنّ الحاســـدين لَـــوَوا
أعنـــاقَ مـــا قـــال إذْ حُـــسَّادُه كُثُـــرُ !

أو ربّمـــــا قـــــال: إنْ كنـــــتمْ ملائكـــــة
لا تُخطئـــــون فعُـــــذراً إنّنـــــي بـــــشرُ !
مـــا زال بالنـــاس حتـــىٰ قـــال قـــائلُهمْ :
نحـــنُ الـــذين أتَـــوا مـــا منـــه يُعتَـــذَرُ ! !
لـــو يعلـــمُ النـــاسُ حـــالَ الخِـــبِّ[1] مـــا طلبـــوا
منـــه اعتـــذاراً ولا عـــن غيّـــهِ زَجـــروا" !

(١) المخادع الغشاش الكاذب

(٢٣) د. محمد عباس[1]

قصيدة "طبيب في سكرة الموت"

مـــــــالي أراني تـــــــستغيثُ نـــــــواظري،
والأرضُ تهـــــذي في دمـــــوعِ محـــــاجري.
أيـــــن الحيـــــاةُ و قـــــد هزمْـــــتُ دروبَهـــــا،
أيـــــن الـــــذين منحـــــتُهمْ مـــــن خـــــاطري.
الآن تغـــــــربُ في حيـــــــاتي شمـــــــسُها،
فـــــالموتُ أقبـــــلَ في جنـــــاحٍ طـــــائرِ.
والـــــدّاء يَـــــسري في الـــــضلوعِ و لا يـــــرى،
إلّا طريحـــــــــاً في فـــــــراشٍ حـــــــائرِ.
لا يَعـــــرفُ المـــــوتُ الطبيـــــبَ مـــــن الـــــورى،
فالكـــــلُّ في الميـــــناءِ شـــــعثُ مغـــــادرِ.
والـــــــداءُ يغـــــــزو كـــــــلَّ أرضٍ غـــــــزوةً،

(١) طبيب وشاعر مصري.

لا قلـــــبَ فيـــــهِ و لا هـــــديرَ مـــــشاعرِ.
كـــــلُّ الـــــذينَ تـــــشدّقوا بعلـــــومهمْ،
أضْـــــحَوا عبيـــــداً للـــــرذاذِ الجـــــائرِ.
فكأنّمـــــا قـــــدْ أُغْـــــشِيَتْ في ليلـــــةٍ،
كُـــــلَّ العقـــــولِ أمـــــامَ داءٍ نـــــادرِ.
كنّـــا نقـــولُ لكـــلِّ فـــردٍ كـــي يـــرىٰ،
قـــد أعْلَنَـــتْ للنـــاسِ كـــلُّ منـــابرِ.
داءُ الكورونـــــا لا نـــــراه بعيننـــــا،
لكنّـــــه داءٌ يحـــــومُ كغـــــادرِ.
لا حـــــلَّ إلّا أن نـــــراه بعقلِنـــــا،
فالجهـــــلُ أكـــــبرُ خنجـــــرٍ لمقـــــامِرِ.
يـــا نـــاسُ إنّـــي قـــد قُتِلْـــتُ بجهلِكـــمْ،
فلتـــستفيقوا قبـــلَ يـــومٍ كاســـرِ.
لـــو تـــشعُرونَ بمـــا أقاســـي لحظـــةً،
لـــشحذتمُ الأذهـــانَ نحـــو مخـــاطري.
الآن مـــوتِي قـــد يكـــون حيـــاتُكمْ،
إن تَلزمـــوا كـــلَّ البيـــوتِ بباكـــرِ.
لـــو أدركَ الإنـــسانُ نِعمـــةَ صـــحّةٍ،

لتَعبَّـــــدَ الأعـــــوامَ ســـــجدةَ شـــــاكرِ.
الـــــروح تـــــصعدُ للإلـــــه و هـــــا أنـــــا،
أُمـــــــسِي شـــــــهيداً في رداءٍ طـــــــاهرِ.

(٢٤) د. حنين عمر[١]

قصيدة (ماذا بعد)

مـــاذا بعـــد ســـكّين غـــدرك بالحـــشَىٰ تتربّـــع
ســـــلمَت يـــــداك بقـــــدر مـــــا أتوجّـــــعُ
" كـــــم ذا أقـــــول لمهجتـــــي" لا تعـــــشقي
فالعـــــشق مـــــن دمعاتنـــــا يترصّـــــعُ
حـــــذّرْتُ قلبـــــي مـــــن هـــــواك ونـــــاره
لكـــــن قلبـــــي لا يـــــرىٰ أو يـــــسمعُ
يـــا مـــن لحبّـــك قـــد رهنـــتُ مـــشاعري
فخـــــسرتُ عمـــــراً لا أظنّـــــه يرجـــــعُ
إنّـــي غفـــرتُ لـــك الـــذنوب جَميعهـــا
وأدنْتنـــــي ظلمـــــاً فمـــــاذا أصـــــنعُ؟

(١) طبيبة وشاعرة ومترجمة وروائية، ولدت في مدينة وهران الجزائرية الساحلية، ولها حضور بارز في الصحافة والإعلام، وطبع لها ثلاثة دواوين.

وزرعـــــتُ دَربَـــــك بـــــالورد فدُســـــتها
فخـــــــسارةٌ وردي ومـــــــا لـــــــك أزرعُ
يـــــا مَـــــن شُـــــغلت بقطعـــــه ووصـــــالهُ
والعـــــين مـــــن ذكـــــراه شـــــوقًا تـــــدمعُ
يـــــا مـــــن أضـــــيق بحبّـــــه وغرامـــــه
وبقربـــــهِ كـــــلّ المـــــضائق أوســـــع
ضـــــاعت بنـــــا ســـــفن الهـــــوىٰ وبحـــــارهُ
والمـــــوج ينزلنـــــي إليـــــك ويرفـــــعُ
الله مـــــا أقـــــوىٰ اشـــــتياقه ذا الّـــــذي
ذبـــــح الفـــــؤاد فـــــصافحَتْه الأضـــــلعُ
مـــــا زال في ليـــــل المدينـــــة عطْـــــرهُ
يمـــــشي فأمـــــشِي مـــــن وراءه أتبـــــعُ
مـــــا زلـــــتُ أحلـــــم أن أعـــــانق وجهـــــهُ
والعـــــين مـــــن ذكـــــراه شـــــوقًا تـــــدمعُ
إن كنـــــت تبحـــــثُ لـــــي علاجـــــًا نافعـــــًا
إنّـــــي قَتيـــــلٌ هـــــل عـــــلاجٌ ينفـــــعُ؟
يـــــا مَـــــن بـــــذلتُ لـــــه حيـــــاتي كلّهـــــا
وبقيـــــتُ وحـــــدي في وصـــــاله أطمـــــعُ

يـــــا مَـــــن هـــــواه أهـــــانني وأذلّنـــــي
فمـــــضىٰ بـــــألوان الأذيـــــة يبـــــدعُ
شـــــكراً لطعنتـــــك الّتـــــي في داخلـــــي
والـــــسيف في قلبـــــي بحقـــــد يقطـــــعُ
شـــــكراً لـــــه الجـــــرح الّـــــذي ســـــبّبتهُ
دعهـــــا ســـــكاكين الأذىٰ لا تـــــشبعُ
قلـــــبٌ أَحبَّـــــكَ بالخيانـــــة صُـــــنته
نِعـــــم المكـــــارم في يَـــــديك تُجمـــــعُ
لا شـــــيء ظَـــــلّ مـــــن الملامـــــة بيننـــــا
صَـــــمَتَ الحنـــــينُ لِكـــــي تبـــــوح الأدمـــــعُ
لا شـــــيء شـــــكراً ثـــــمّ شـــــكراً قـــــاتلي
مـــــن يَـــــشتري حبّـــــاً عـــــذاباً يَـــــدفعُ

(٢٥) د. عمرو فرج لطيف[١]

قصيدة (القدس لنا)

سأظلُّ في القدسِ الشريفِ مرابطًا،
قلبي ذَخِيرَةُ مِدْفَعِي وَوَقُودُ.
لبَّيكِ يا قُدْسَ الكرامةِ، عَزْمُنَا
بالانتفاضة والحروبِ حَديدُ.
لبَّيكِ يا مَسرىٰ الرسولِ، وقِبْلَةً
حَجَّتْ لها في العالمين حُشُودُ.
هذي فلسطينُ الأبِيَّةُ تَصْطَلِي،
والصبرُ في قلبِ الرجالِ عنيدُ.
كم من طَرِيدٍ يَكْتَوي، ومُهَجَّرٍ

(١) طبيب وشاعر مصري، وُلد في محافظة الغربية عام ١٩٨٣، تخرج في كلية طب طنطا. عضو اتحاد كتاب مصر، وله خمسة دواوين تكتظ بالشعر الصوفي والرومانسي، استعار المنشدون عددا من قصائده، أشهرهم ياسين التهامي الملقّب بعميد المنشدين.

بِـــــدُمُوعِ قَهْـــــرٍ، والـــــسلامُ شـــــهيدُ.
وأرامـــــلٌ تبكـــــي بِعِـــــزٍّ شُـــــمُوخِهَا،
كـــــم مـــــن يتـــــيمٍ فِيْ الـــــبلادِ شَـــــرِيدُ.
مَهْـــــلاً فلـــــسطينُ العروبَـــــةِ، واســـــمعي،
فجِهَادُنَـــــا في العـــــالمين نـــــشيدُ.
وسنـــــشعلُ الـــــدنيا حروبـــــاً؛ كلَّمـــــا
تَـــــسْطُو علـــــي إرثِ التقـــــاةِ قـــــرودُ.
هـــــذا عـــــدوُّ اللهِ دنَّـــــس مَـــــسجدي،
وسِـــــلاحُهُ التخريـــــبُ والتهويـــــدُ.
فمتـــــىٰ يـــــزولُ الأســـــرُ عـــــن أعناقِنـــــا،
وَيَلُـــــوحُ في أقـــــصىٰ الـــــشموخِ العيـــــدُ.
ومتـــــىٰ سنـــــضرب كـــــفَّ ذاك المعتـــــدي،
ذاك اللئـــــيمُ الحاقـــــدُ الرعْدِيـــــدُ.
ومتـــــىٰ يعـــــودُ النـــــازحون لأرضـــــهم،
ويتيـــــهُ في أرضِ المعَـــــادِ حَقُـــــودُ.
ومتـــــىٰ نـــــصلّي ركعـــــةً يرضـــــىٰ بهـــــا،
عنَّـــــا الالـــــهُ الواحـــــدُ المعبـــــودُ.
يـــــا ثالـــــثَ الحـــــرميْن أوّلَ قبلـــــةٍ،

يحميـــــك رَبِّـــــي والـــــدماءُ جنـــــودُ.
هَيَّـــــا إلـــــىٰ التحريـــــرِ، هَيَّـــــا للعُـــــلا،
والقـــــدسُ نحمـــــي أرضَـــــها وَنَـــــذُودُ.
في كُـــــلِّ رُكْـــــنٍ مِـــــن دِمَـــــائي صَـــــرْخَةٌ،
وَجَـــــوارِحِي باتـــــت علـــــىَّ شـــــهودُ.
وَثعالـــــبُ الكـــــونِ الكبيـــــرِ تَجَمَّعُـــــوا،
والله يَمْكُـــــرُ فَـــــوقَهُمْ وَيَكِيـــــدُ.
يَـــا قـــادةَ العـــربِ الكـــرامِ، إلـــىٰ متـــي
هـــذا الـــسكوتُ وَقُدْسُـــنَا مَفْقُـــودُ.
الله أكـــــبرُ صـــــرخةٌ وعقيـــــدةٌ،
مَـــا حـــدَّها في العـــالمين حُـــدُودُ.
ولْيـــــشهد اللهُ العظـــــيمُ، بأَنَّنَـــــا
نحـــــنُ العبـــــادُ وَبَأْسُـــــنَا لَـــــشَدِيدُ.

(٢٦)د. زهيرة بن عيشاوية[١]

قصيدة (صوت الشّعر)

فـــإذا كتبـــتُ علـــىٰ الطبيبـــة داخلـــي
إن الطبيبـــــة تـــــسكن أعمـــــاقي
وإذا نـــــسيت بـــــأن أقـــــول صـــــفاتها
فطبيبـــــة الأشـــــعار في أحـــــداقي
وإذا كتمـــــتُ جراحهـــــا وســـــكوتها
فَـــضَحَت حـــــروفي حرْقـــــة الأشـــــواق
وإذا وجـــــدتُ الـــــشّعر أضـــــحىٰ متقَنـــــا
فطبيبتـــــي أضـــــحت تحـــــبّ ســـــباقي
قـــــد نلتقـــــي في الطـــــبّ والأشـــــعار قـــــد
نتلـــــو نـــــشيد الحـــــبّ والعـــــشّاق
و نـــــردّد الأشـــــعارَ نبـــــضا خافقـــــا

(١) طبيبة وشاعرة تونسيّة

ونطيـــــع أمـــــر القلـــــب حـــــين تـــــلاقِ
قـــــد نجمـــــع الحـــــرفَ الـــــسقيمَ بـــــدفتر
و نـــــداوي حـــــزنَ القلـــــب بالتريـــــاقِ
زفـــــراتُ حـــــرفي قـــــد يزيـــــد ضـــــجيجها
شـــــــــهقاته تنهيـــــــــدة المـــــــــشتاق
ســـــمّاعة القلـــــب ستنـــــصت برهـــــة
لنزيـــــف روحـــــي أو صـــــدىٰ إحراقـــــي
لكـــــن صـــــوت الـــــشّعر يبقـــــىٰ ســـــاكنا
في الـــــروح في القلـــــب كمـــــا أعمـــــاقي
حاولـــــتُ أهـــــرب مـــــن بحـــــور دفـــــاتري
لكـــــن حـــــرفي يـــــشتهي إغراقـــــي

***

قصيدة (إذا ما قلت):

إذا مـــــا قلـــــتُ بـــــأنّ الحـــــزن يخنقنـــــي،
فـــــلا تظـــــنّنّ العكـــــسَ إذا مـــــا كنـــــت أبتـــــسمُ
ليـــــست ســـــعادتي في مـــــساحيقَ أحملهـــــا،
ولا ابتـــــسامةٍ فـــــوق الوجـــــهِ ترتـــــسمُ
أنـــــا ســـــعادتي تحـــــت القـــــبرِ مـــــسكنها،

وللّـــــهِ والأقـــــدارِ صـــــرتُ أحـــــتكمُ
تعتـــــصر الـــــروحُ بـــــالأحزانِ والألـــــمِ،
والقلـــــبُ صـــــار بحبـــــل اللّـــــهِ يعتـــــصمُ
تـــــزورني الـــــذكرىٰ والأشـــــواقُ تقتلنـــــي،
فيفـــــيض دمعـــــي و صـــــوتُ القلـــــبِ ينكـــــتمُ
يـــــا خـــــالقَ الـــــروحِ إنّ الـــــروحَ ذائبـــــةٌ،
تتـــــوبُ عـــــن الـــــدنيا، فالـــــدّنيا بعـــــدهُ عـــــدمُ

(٢٧) د. وعد محمّد[١]

قصيدة (رسالة من فتاة مجهولة)

وردية الأخلاق كالريحانِ
مكيَّة الأركان والتبيانِ
مصريةٌ لو قيلَ ألفُ قصيدةٍ
ما عكَّرت في النيل صفو بياني
أنا من أصول عروبةٍ مصباحها
قد أوقدوهُ بنعمة القرآنِ
أنا عنفوانُ الحرفِ حينَ أبُثُّهُ
دفءَ الحروف على هزيج لساني
أنا ألفُ وعدٍ ما أراقَ رحيقَهُ
نبضُ القصيد ولا هوىً بمكانِ

---

[١] شاعرة مصرية، ولدت بإنجلترا عام ١٩٩١م، تقرض الشعر العمودي، ولها كتابات نثرية، تعمل طبيبة قلب ببريطانيا.

الزهـــرُ يـــشهدُ لـــي ويـــسكبُ لمـــستي
عطـــرًا يفـــوحُ بنفحـــة الـــرُّضوانِ
وعلـــىٰ جبـــين الليـــل أزرعُ كوكبـــًا
يـــرُوىٰ بهمـــسِ الـــرُّوح والوجـــدانِ
نـــبضُ الحـــروفِ ببحـــر شـــعري ســـابحٌ
والمـــسكُ يـــسرحُ في شـــذا أوزاني
أنـــا مَـــنْ صـــرعتُ الخـــوفَ واجتـــزتُ الـــعُلا
لـــمَّا هزمـــتُ بعفَّتـــي أحـــزاني
وعلـــىٰ مـــواني اليـــأس أقلـــعَ هـــاجري
وســـرىٰ كيـــانُ العُـــرب في شُـــرياني
وســـقيتُ بـــالنور الحماقـــةَ فـــارتوت
أغـــصانُ رُوحـــي مِـــن جـــذوع حنـــاني
وبنيـــتُ في أرض الكرامـــة منـــزلاً
زيـــنَّتهُ بالـــصفح والغُفـــرانِ
فـــإذا ســـألتَ عـــن المـــسافر في دمـــي
فـــاعلم بـــأنَّ مفـــاخري أوطـــاني
وإذا ســـألتَ عـــن القـــريض وأرضـــهِ
فأنـــا القـــصيـــدُ وهـــذهِ أغصانـــي

لو لم يكن أبو العلاء المعرّي شاعرا لكان فيلسوفا، باعتباره محبًّا للحكمة، وبحسبانه صاحب نظر عقلي مؤسَّس على المعرفة خاض به غمار فلسفة الوجود والمعرفة والأخلاق، وهي مباحث الفلسفة الثلاث. ولو لم يكن فيلسوفا، لكان طبيبا نفسيا؛ إذ دعتْه صومعة عزلته وتوقُّد قريحته إلى الغوص في النفس الإنسانية، فشرّح آلامها وأحزانها وخبر تقلّباتها واعتلالاتها. وبهذه الصفات الثلاث، صفات الشاعر والفيلسوف والطبيب، أستدعيه من مرقده في بقعة صغيرة بسورية تُدعى معرّة النعمان باتت بفضله عَلَما يعرفها أدباءُ الغرب قبل الشرق، وذلك ليقول كلمة ختامية في الشّعر والشعراء، تارة بالمنثور وتارة بالمنظوم، وهو سيّد الصناعتيْن ولا ريب..فمِن منثوره في مدح شاعر -وأراه أوّل المستحقّين لهذا المدح- قال: لا أعدم اللهُ الشعراءَ إرشادُك، ولا الملوكَ إنشادُك، فلو كان للقريض ولدٌ لكُنْتَه، ولو سكن بيتَ الشِّعْر أحدٌ لسكَنْتَه.

وكفىٰ بالشِّعر مدحا قوله فيه:

"والحُـــــسن يَظهـــــر في شـــــيئيْن رونقُـــــه
بيـــتٌ مـــن الـــشِّعْر أو بيـــتٌ مـــن الـــشَّعَر"

دمتم في حفظ الله ورعايته..

المؤلّف

* منير لطفي محمّد علي
* مواليد ريف الدقهلية (كفر الروك، السنبلاوين) ١٩٦٥ م
* تَخرّج في كلية طبّ المنصورة ١٩٨٩م (جيد جدا مع مرتبة الشرف)
* استكمل الدراسات العليا في الأمراض الباطنية جامعة الزقازيق ١٩٩٦م (جيد جدا)
* تَخرّج في الأكاديمية الإسلامية المفتوحة بالمملكة العربية السعودية (امتياز)
* عضو نقابة أطباء مصر، استشاري الأمراض الباطنية
*عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.
* مشرف صفحة أقلام بيضاء في مجلة الديوان الجديد الأدبية الشهرية
* له عشرات المقالات المنشورة بالجرائد والمجلات الورقية (الوعي الإسلامي-اللواء الإسلامي-الجمهورية-الرؤية العمانية) وكذلك المواقع والصحف الإلكترونية (المنار الثقافية الدولية-المثقف-الأمة الإلكترونية-دنيا الوطن-منار الإسلام-صوت العروبة-الجزيرة نت-وغيرها)..

* نال تكريم كلية طب المنصورة في يوم الأطباء الأدباء عام ٢٠٢٣، وتكريم منصة أريد للنشر في يوم الشعر العربي عام ٢٠٢٢

* صدَر له:

١- أطباء فوق العادة، دار عالم الثقافة، ٢٠١٦

٢- طريقك إلىٰ التميّز، دار عالم الثقافة، ٢٠١٧م

٣- رحلتي مع مرض السكري، دار اليقين، ٢٠١٨م

٤- مفاتيح القراءة، دار اليقين، ٢٠١٨م

٥- بستان العافية، دار اليقين، ٢٠١٨م

٦- حياتنا بعد الستين، دار مدارك، ٢٠١٩م

٧- معا نرتقي، دار ألوان، ٢٠٢٠م

٨- علىٰ خطىٰ لقمان، دار ألوان، ٢٠٢٠م

٩- مقامات أبقراط، دار البشير، ٢٠٢٠م

١٠- مشاهير في ذاكرة المرض، الدار البحرينية المصرية، ٢٠٢م

١١- أحسن تأويلا، دار عالم الثقافة، ٢٠٢١م

١٢- أمالي الغزالي، دار البشير ٢٠٢٣م

١٣- يوميات طبيب بلغ المشيب، مطبوعات دحروج، ٢٠٢٣م

١٤- لطائف ادباء العصر، مطبوعات دحروج، ٢٠٢٣م

١٥- حكايات من دفتر الحياة، دار ألوان، ٢٠٢٣م

١٦- نور علىٰ نور، دار ألوان، ٢٠٢٣م

١٧- رواق الحكمة، حوارات في الفكر والطب والأدب، ٢٠٢٣م

١٨- قولا كريما، رسائل قصيرة علىٰ درب البصيرة، دار ألوان، ٢٠٢٣م

١٩- علاوة علىٰ كتب أخرىٰ مخطوطة قيْد الإعداد والتهذيب

للتواصل

lotmonir@gmail.com

١-في فلسفة الطب، د. أحمد صبحي، د. محمود زيدان

٢-الشيخ الرئيس (ابن سينا)، عباس محمود العقاد

٣-مَجمع المسرّات، د. شاكر الخوري

٤-أرجوزة في الطب، ابن عبد ربه الأندلسي

٥-تذكير صريح إن نسينا عن أرجوزة تشريح ابن سينا، عامر صلاح الدين، رسالة دكتوراه.

٦-الطبّ في الشّعر العربي، محمد عبد الرحيم

٧-الإماء الشواعر، أبو الفرج الأصفهاني

٨-أرجوزة التشريح، محمد جهاد حاكمي

٩-عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة

١٠- الأطباء الأدباء، فخري الدباغ

١١-معجم أدباء الأطباء، محمد الخليلي

١٢- شعر إبراهيم ناجي، الأعمال الكاملة

١٣- أسئلة الشعر، حوارات مع الشعراء العرب، جهاد فضل

١٤-سرّ اللعبة، يحيىٰ الرخاوي

١٥-أغوار النفس، يحيىٰ الرخاوي

١٦-رفيف الأقحوان، نقولا فيّاض

١٧-الصورة الفنيّة في شعر الحكيم أبي الصلت، إنعام عيسىٰ موسىٰ

١٨-المرأة والشعر، نقولا فياض

١٩- فحول البلاغة، محمد توفيق البكري

٢٠- عاشق الفكر والثقافة، محمد عدنان سالم، نزار أباظة

٢١- أذكياء الأطباء، محمد رضا الحَكيمي

٢٢- عصر ورجال، فتحي رضوان

٢٣- اثنا عشر عاما في صحبة أمير الشعراء، أحمد عبد الوهاب أبو العزّ

٢٤- المأثور من كلام الأطباء، د. أحمد عيسىٰ بك

٢٥- الطب ورائداته المسلمات، د. عبد الله عبد الرزاق مسعود

٢٦- أقوىٰ من السلطة، مذكرات أساتذة الطب، د. محمد الجوادي

٢٧- إلاقة الدواة، محمد وفيق

٢٨- مقالات ومرئيات وسمعيات في أحشاء الشبكة العنكبوتية

الإهداء ٥
استهلال ٦
تقديم ٧
المقدّمة ٩
الباب الأوّل: متلازمة الطبّ والشِّعر ١٣
(١) ما الشِّعر؟ ١٥
(٢)ما الطبّ؟ ٢٤
(٣) طبٌّ وشعرٌ كيف يتّفقان؟ ٣١
(٤) شعراء أطبّاء أم أطبّاء شعراء؟ ٣٦
(٥) ظاهرة تستحقّ البحث ٤٠
(٦) الطبيبات الشّواعر ٤٥
(٧) الناس تسأل والهواجس جَمّة! ٥٢
(٨) ملاحظات على الهامش ٦٠

(٩) الأيدي الناعمة ٦٧
(١٠) مسيرة حافلة ٧٤
(١١) رُبّ ضارّة نافعة ٨٠
(١٢) على خطى ابن سينا ٨٥
(١٣) العلاج بالشِّعر؟ ٩٣
(١٤) قلبان في جوْف واحد ١٠٠
(١٥) ما أنا بشاعر ١٠٤
الباب الثاني: مختارات شِعريّة ١١٣
(١) أبو الثناء محمود بن عمر الحابوليّ متفرّقات ١١٥
(٢) الحكيم أبو الصلت متفرّقات ١١٧
(٣) د. شبلي شميّل قصيدة (ليس لي في الشعر مطلب) ١٢١
(٤) د. نقولا فيّاض قصيدة (زيارة مِن غير موعد) ١٣٠
(٥) د. شاكر الخوري متفرّقات ١٣٤
(٦) د. سلمان الحاتم قصيدة (القوافي تليق بي) ١٣٧
(٧) د. إبراهيم ناجي متفرّقات ١٤٠
(٨) د. وجيه البارودي قصيدة "قالت غدا" ١٤٣
(٩) د. ميّ حنّا سعادة قصيدة (العودة الصامتة) ١٤٧

(١٠) د. عمر الجارم قصيدة (الهوى القديم)..... ١٥٠
(١١) د. نجيب الكيلاني قصيدة (أنا لستُ أرضى)..... ١٥٤
(١٢) د. ماهر حتحوت قصيدة (لغة الصمت) ١٥٦
(١٣) د. عمر حيدر أمين العبهري قصيدة (أُمّ اللغات) ١٦١
(١٤) د. محمد حكمت وليد قصيدة (أغنية في حبّ المطر)..... ١٦٤
(١٥) د. السيد الجميلي قصيدة (العالِم الذي فقدناه) ١٧١
(١٦) د. أحمد تيمور قصيدة (خرافة)..... ١٧٤
(١٧) د. ريكان إبراهيم قصيدة (الرحلة إلى التوحيد) ١٧٦
(١٨) د. محمد نجيب المراد قصيدة "الطبيب"..... ١٨٢
(١٩) د. عبد الناصر الشيخ قصيدة (آخر الكلام)..... ١٨٥
(٢٠) د. عبد المعطي الدالاتي والهوى أذواقٌ (قصيدة) ١٨٨
(٢١) د. وليد الصرّاف قصيدة (سمسار في سوق عكاظ) ١٩١
(٢٢) د. محمد بن ظافر الشهري قصيدة (رضا الناس) ١٩٤
(٢٣) د. محمد عباس قصيدة "طبيب في سكرة الموت" ١٩٧
(٢٤) د. حنين عمر قصيدة (ماذا بعد) ٢٠٠
(٢٥) د. عمرو فرج لطيف قصيدة (القدس لنا) ٢٠٣
(٢٦) د. زهيرة بن عيشاوية قصيدة (صوت الشِّعر)..... ٢٠٦

(٢٧) د. وعد محمّد قصيدة (رسالة من فتاة مجهولة) ٢٠٩
الخاتمة ٢١١
بطاقة الكاتب ٢١٣
المراجع ٢١٦
الفهرس ٢١٩

تمّ بحمد الله